# عين المدينة

نبنيـها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina



في المدينة...
ـ ما زال الحمام ..يطير ص4
- نهر الخريطة الصغير ص7
ـ انفتاح على أسواق العراق ص8
ـ تراجع الخدمات في دير الزور ص9
ـ المنصورة.. انتعاش في الحرب ص12
ـ سرقة الآثار في منبج ص13
ـ فتنة داعش ص14
ـ الحرب العربية الباردة ص17



عين المدينة | العدد (32) | 1 أيلول 2014

مجلة نصف شهرية مستقلة

مقاتل من الحرّ - دير الزور

## كانت الثورة على حقّ... وما تزال

يجب أن نعترف أن ثورتنا في أزمة. فهذا يخلّصنا من كثيرٍ من اللغو المكابر والنقاش الذي لا طائل من ورائه، أمام واقع شهد لنظام الأسد بإحراز انتصاراتٍ عسكريةٍ موضعيةٍ أو مصالحات. ويشهد للقطب الثاني من أعداء الثورة، تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش) بانتصاراتٍ أبرز، على قوّات النظام بالدرجة الأولى، بعد أن كسر هذا التنظيم الاتفاق غير المعلن بين الطرفين لتجنّب الصدام عملياً.

ولكن، هل المشهد قاتمٌ بالفعل كما يبدو للكثيرين؟ في الحقيقة، يعاني النظام وأنصاره من إحباطٍ شديدٍ إثر خساراتهم أمام داعش في الرقة وأمام قوّات الثوّار في درعا والقنيطرة وريف حماة. وعلى خلافنا نحن، يضع النظام كلّ ما سبق في سلّةٍ واحدة، وهي ثقيلةٌ بالفعل.

أما داعش، فتكاد تصل سريعاً إلى مبتغاها، وهو استعداء العالم كلّه، ابتداءً من المقاتل الشابّ الذي تساهل مع دخولها إلى دير الزور، وحتى مجلس الأمن. فهنيئاً لها بهذا التاج من الأعداء، الذي تتصوّره دلالةً على أنها على «الحق»، في إحدى أعراض الجنون الاستراتيجيّ الذي لن يتأخر دفع ثمنه.

وحدها الثورة على الحقّ، لأنها اندلعت من كرامات ملايين الناس وتطلعاتهم إلى العدل والحرّية. وبالتأكيد، ستمرّ هذه الأيام، وسيرحل الطغاة؛ الأسد الذي استجدى مؤخراً التعاون الدوليّ للقضاء على «الإرهاب» فلم يلقَ إلا الاستنكار، و«الإرهاب» نفسه، الذي يستحقّ هذا الاسم بجدارة. وأما الثورة التي تنفع الناس فستمكث في الأرض.

# جبهة النصرة على معبر الجولان... وأمريكا تلوّح بالتدخل... والأسد منشغلٌ بتشكيل حكومة

هيئة التحرير

اجتاحت قضية الجنود التابعين للأمم المتحدة، الذين قامت جبهة النصرة بأسرهم بالقرب من معبر الجولان، وسائل الإعلام العالمية، بمجرّد استنفار الأمم المتحدة وإعلانها عن إجراء مفاوضاتٍ شاملةٍ للتوصل إلى الإفراج عن 44 من عناصر قوة حفظ السلام، وفك حصار 72 آخرين.

ومن جانبها أكدت الجبهة، في معرض تواصلها مع الأمم المتحدة، أنها قد احتجزت 44 جندياً فيجياً من قوات حفظ السلام لحمايتهم، وأن جميعهم بخير.

وكانت جبهة النصرة قد اختطفت هؤلاء الجنود بعد معارك خاضتها، إلى جانب فصائل أخرى من الجيش الحرّ، ضد قوّات النظام السوري على معبر القنيطرة الحدودي، انتهت بسيطرة الفصائل على المعبر وفرار قوّات النظام السوريّ منه.

## أوباما يلوّح بالتدخل الدوليّ.. ضد تنظيم الدولة الإسلامية

لم يكن المؤتمر الصحفيّ، الذي عقده وزير خارجية النظام وليد المعلم، بعيداً عن الأجواء التي تشير إلى تهديداتٍ من قبل المجتمع الدوليّ للتدخل ضد تنظيم الدولة الإسلامية. فالمعلم أعلن، وبشكلٍ صريح، أنه لا مشكلة بأن يتم التدخل، وإنما بالتنسيق مع النظام السوريّ. وهو التصريح الذي لم يلق صدىً لدى الإدارة الأمريكية، حين لم يعبأ الرئيس الأمريكي باراك أوباما بما قاله المعلم، معلناً بأن طائرات الاستطلاع الأمريكية تحلق فوق سوريا، وأن هذا التدخل جاء كردٍّ على تصفية تنظيم داعش لصحفيٍّ أمريكيٍّ كان مختطفاً في سوريا، قائلاً: "إن الولايات المتحدة ستتابع اتخاذ إجراءاتٍ مباشرةٍ عند الضرورة لحماية مواطنيها وأراضيها"، مردفاً "أن استئصال سرطانٍ مثل "الدولة الإسلامية" لن يكون سهلاً، ولن يكون سريعاً".

إلا أن المتحدّث باسم البيت الأبيض، جوش أرنست، كان قد أعلن بأن أوباما لم يتخذ بعد قراراً بتوجيه ضرباتٍ جويةٍ محتملةٍ لمواقع تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا.

واعتبرت أواسطٌ سوريةٌ معارضةٌ أن تدخل أمريكا لضرب داعش في سوريا إنما هو وقوفٌ مع نظام الأسد. وهو أيضاً ما حذرت منه دولٌ ذات تأثيرٍ على المسألة السورية، فقد لفت متحدثٌ باسم وزارة الخارجية الألمانية إلى إن ألمانيا لا تعتزم إحياء العلاقات مع نظام الأسد بسبب التهديد الذي يمثله تنظيم الدولة الإسلامية، قائلاً: "ارتكب نظام الرئيس الأسد ظلماً لا يصدق بكل الأشكال الممكنة خلال الحرب الأهلية المندلعة منذ ثلاثة أعوام ونصف العام، قتل نحو 200 ألف شخص".

ومن جانبه ذهب الرئيس الفرنسي فرانسو هولاند أبعد من الدبلوماسية الألمانية ليقول إن الأسد هو حليف الإرهاب، وإن على الغرب دعم القوّات المعارضة التي تحارب "الدولة الاسلامية" لا دعم الأسد، مضيفاً: "من الضروريّ تشكيل تحالفٍ واسع. لكن لتكن الأمور واضحة، بشار الأسد لا يمكن أن يكون شريكاً في مكافحة الإرهاب، فهو الحليف الموضوعيّ للجهاديين".

ووجد وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف كلّ ما سبق مناسبةً للقول إن الغرب يريد مكافحة الإرهاب في العراق فقط ولا يريد مكافحته في سوريا، لأنه لا يريد أن يتعاون مع النظام السوريّ.

## الأسد.. يكلف حكومةً جديدة

وبالتوازي مع كلّ ما يحدث توجه رئيس النظام بشار الأسد لإكمال ما بدأه مع الانتخابات الرئاسية، من خلال تشكيل حكومةٍ جديدةٍ ضمت 11 وزيراً جديداً، محتفظةً برئيسها وحقائبها السيادية مع الوزراء السابقين ذاتهم. بينما عيّن حسان النوري (خصمه في الانتخابات الرئاسية، حسبما صوّر الإعلام السوري) وزيراً للتنمية الإدارية، في ظلّ تنامي الفقر في سوريا، ووصول أكثر من 50 بالمئة من الشعب إلى تحت عتبة الفقر المدقع، وأكثر من 75 بالمئة إلى تحت عتبة الفقر.

ومن جانبها سرّبت مصادر استخباراتيةٌ فرنسيةٌ أن موفداً من قبل الأسد وصل إلى فرنسا لإقناع شخصيةٍ عسكريةٍ سوريةٍ منشقةٍ باستلام منصبٍ كبيرٍ في النظام، إلا أن الموفد لم ينجح، في خطةٍ وصفت بأنها محاولةٌ لكسب بعض الأطراف والتحضير لمرحلةٍ جديدة.

# تقدمٌ في القنيطرة وتراجعٌ في ريف دمشق.. وهزيمةٌ نكراء للأسد في الطبقة

هيئة التحرير

اعتبر نشطاء محليون معارضون أن سيطرة الثوار السوريين على معبر القنيطرة هي أهمّ حدثٍ عسكريٍّ خلال الأيام الماضية، لما يحمله هذا الحدث من أثرٍ سياسيٍّ وعسكريٍّ على مجريات الأحداث، ولأنه يبرهن على تقدمٍ ملحوظٍ يحققه الثوّار على صعيد الجبهات الجنوبية.

وكانت السيطرة على المعبر مشتركةً بين جبهة النصرة وعدّة فصائل معارضةٍ أخرى اشتبكت مع قوّات النظام وقوّات الدفاع الوطنيّ الموالية له، ما أدّى إلى مقتل العشرات منهم، وانتهى برفع علم الثورة على المعبر.

وكان الجيش الإسرائيليّ قد أعلن هضبة الجولان منطقةً عسكريةً مغلقةً منذ مدّة، بعد سقوط قذائف في مناطق متفرقةٍ من الهضبة. كما حذر المدنيين والمزارعين من الذهاب إلى أراضيهم في المناطق القريبة من المعبر.

## النصرة تتمترس في القلمون

بعد معارك عنيفةٍ شهدتها مدينة عرسال اللبنانية، التي تضم آلاف النازحين السوريين من حمص ومن مدن وقرى القلمون الخاضعة لسيطرة النظام السوريّ، تمترست قوّات جبهة النصرة في جرود القلمون محتجزةً مقاتلين لبنانيين، ومحذرةً حزب الله اللبنانيّ، الذي يقاتل إلى جانب النظام السوريّ، من التدخل في القلمون.

كما اتهمت الجبهة التيار الوطنيّ الحرّ بمنع إعادة الجنود اللبنانيين المسيحيين المخطوفين لديها بسبب ما أسمته "أفعاله الأخيرة"، وطالبت المسيحيين اللبنانيين بالتزام الحياد. وجاء ذلك بعد أن أطلقت النصرة سراح خمسة مقاتلين من الجيش اللبنانيّ كانت قد احتجزتهم مؤخراً على خلفية معارك عرسال.

وليس بعيداً عن القلمون سيطر الثوار مؤخراً على خمسة حواجز في مدينة الزبداني في ريف دمشق، بعد معارك استمرّت حوالي يومين ضد قوّات النظام. وأحد تلك الحواجز هو الفاصل بين مدينتي الزبداني وبلودان، والذي كان يعدّ من أهم مصادر النيران التي تقصف بها قوّات النظام مدينة الزبداني المحرّرة.

طيران النظام في مطار الطبقة بعد تحريره

فيما تقدّم النظام خلال الأيام الماضية في غوطة دمشق الشرقية، من خلال سيطرته على بلدة المليحة التي تعدّ من أهم مداخل الريف الشرقيّ لدمشق، وذلك بعد حصارٍ طويلٍ دمر فيه النظام حوالي 75 بالمئة من مباني المليحة، مستخدماً كافة صنوف الأسلحة.

فيما تستمرّ العلميات العسكرية في محيط حيّ جوبر الدمشقيّ، حيث ركزت قوّات النظام قصفها الجويّ والمدفعيّ على الحيّ، ما أدّى إلى سقوط عشرات المدنيين بين قتيلٍ وجريح، دون أن تحقق قوّات النظام أيّ تقدم يذكر في هذه المنطقة التي تعدّ من أهمّ مناطق سيطرة الثوّار بالقرب من العاصمة.

## حماة.. تقدمٌ نحو العمق

تعدّ اشتباكات محيط مدينة محردة في ريف حماة من أشدّ الاشتباكات عنفاً في المحافظة، التي تشهد غالبية قرى ريفها الشماليّ والشرقيّ وبعض قرى الريف الغربيّ معارك عنيفة. إلا أن معركة محردة تتخذ طابعاً أكثر عنفاً لأن أكثرية سكانها من المسيحيين، وتقع على طريقٍ استراتيجيةٍ نحو الريف الغربيّ التابع لسيطرة النظام.

واستطاعت قوّاتٌ من الجيش الحرّ دخول الحيّ الشرقيّ من محردة بعد السيطرة على حاجز الشليوط، كما أعلن الحرّ محردة وما حولها منطقةً عسكريةً بالكامل، جرّاء الاشتباكات داخل وفي محيط المدينة.

ونقل نشطاء من ريف حماة الغربيّ أن قوّات النظام وجيش الدفاع الوطنيّ يحشدون مئات العناصر لمعارك محردة خوفاً من سيطرة الحرّ عليها، ما يفتح الطريق نحو السقيلبية وربيعة التي تعدّ من أهم خزانات جيش الدفاع الوطني، وما يفتح الطريق أيضاً إلى حاجز دير محردة الذي يعدّ أكبر حواجز النظام في المنطقة، وهو المسؤول الأهم عن قصف الريف الشماليّ والمناطق المحرّرة من الريف الغربيّ لحماة.

ومن جانبٍ آخر تتجه معارك ريف حلب لتكون محصورةً بين قواتٍ معارضةٍ وبين تنظيم الدولة الإسلامية، بينما يقتصر حضور النظام فيها على القصف الجويّ.

وفي المنطقة الشرقية سقط مطار الطبقة، آخر جيوب الأسد في محافظة الرقة، بعد هجوم عنيفٍ شنه مقاتلو "الدولة الاسلامية"، مكبّدين قوات الأسد خسائر بشريةً فادحةً قدّرت بـ(500) جنديٍّ تم إعدامهم، فيما بقي مصير مئاتٍ آخرين في عداد المفقودين.

# وما زال الحمام يطير....

علي خطاب

في كافة المناطق السورية، تعدّ تربية الحمام أمراً مألوفاً وقديماً؛ إذ يعيدها البعض إلى قوم النبيّ لوطٍ عليه السلام. وهي من المحاولات القديمة للإنسان للسيطرة على الطبيعة، وإخضاعها لإرادته، والاستفادة منها.

الصورة من alazmenah.com

ويعتقد الكثير من الناس أن تربية الحمام هوايةٌ فقط، يمارسها المهووسون في الأحياء الشعبية (وهي المناطق التي تنتشر فيها هذه الظاهرة). لكن الحقيقة أن الأمر لا يقتصر على الهواية دائماً، بل قد يتعدّاه إلى كونها عملاً يدرّ على أصحابه مردوداً مادياً معقولاً قد يكون، في كثير من الأحيان، هو الدخل الوحيد لصاحبه، خاصةً مع تفشّي البطالة قبل الثورة وبعدها. في هذه الحالة تكون تربية الحمام مهنةً أكثر منها هواية، كما يقول خالد، وهو أحد خريجي المعاهد الذين وجدوا أنفسهم بلا عمل، رغم أنه تقدّم لأكثر من مسابقة تعيين، لكنه لم ينجح لأنه، كما يقول: "مو من طرطوس، وما عندي واسطة". وهو الآن، في مدينة دير الزور المحرّرة، يمارس هذه المهنة – الهواية بشغف.

ويتابع: "كانت – في مدينة دير الزور – شخصياتٌ مثقفةٌ كثيرة، تحمل أعلى الشهادات الجامعية، فمنهم الطبيب ومنهم المهندس، تربّي الحمام. لكن ذلك في حالتهم كان هوايةً فقط". وهو يحاول بهذا تبيان أن الأمر ليس مشيناً بالضرورة. إذ إن الناس في دير الزور، كما في غيرها من المدن السورية، تتصوّر في أذهانها شخصيةً نمطيةً للـ(حممجي)، أو (الحميماتي) كما يسمّى في غير مكان، تنطوي على الكثير من الرذائل والشذوذ.

يقول خالد: "الناس تخلط بين الحممجي بهذا الوقت، والحممجي اللي يتخيلونه في قوم لوط عليه السلام. بس هذا مو صحيح، لأن الرذائل اللي ينسبونها للحممجي موجودة عند غيره؛ وبالمقابل بي حممجية بقمة الأخلاق والأدب والدين، لا تزعل".

اليوم، يضع خالد حمامه في الحديقة الخلفية للبيت، في ظلّ القصف الذي تتعرّض له المدينة، والقنص الذي قد يتعرّض له لو أنه وضع الحمام على السطح، كما كان يفعل جميع أصحاب الحمام في السابق. لكن الغريب أن بعض الحممجية ما زال يمارس هوايته على الأسطح، وفي بعض الأحيان في مناطق قريبة من الجيش الأسديّ. وعن هذا يقول خالد: "هذا الأمر ليس له سوى أحد تفسيرين؛ إما أنهم مجانين، تطيير الحمام عندهم أغلى من حياتهم، أو أنه بي تفاهم بينهم وبين الجيش الموجود قريب منهم لدرجة أنه يقدرون يتكلمون معه".

## بروتوكولات

لتربية الحمام وتطييره خاصةً، قوانين وتقاليد (أصول) لا يخرج أحدٌ عنها إلا ما ندر. ويذكر الجميع في دير الزور الخلافات بين مربّي الحمام، التي قد تصل إلى القتل، بسبب خرق هذه القوانين. ومن هذه القوانين أعرافٌ في كشّ الحمام (تطييره)، حين لا مفرّ من اختلاط أسراب الحمام (الكشات) ببعضها، إما لقلة خبرة الحمام أو الحممجي، أو بسبب انجذاب الحمام لبعضه. ولتفادي الصدام بين أصحاب الحمام يتمّ الاتفاق سلفاً، بين طرفين أو أكثر، إما على إعادة أو على عدم إعادة الحمام – الذي يدخل في سربٍ غير سربه – إلى صاحبه.

ومن العادات المعروفة عن مربّي الحمام اجتماعهم في مقهىً خاصٍّ بهم، يبيعون ويشترون الحمام فيه، أو يستفسرون عن أسعاره ويتبادلون الحديث عنه. ويجتمع مربّو الحمام اليوم في دكانٍ في حيّ الحميدية، حوّله صاحبه إلى ما يشبه المقهى، يبيعون ويشترون فيه، كما يتحدثون عن الحمام والحرب والسياسة، ويشربون الشاي. واللافت في الأمر أن صاحب المقهى، الذي يقدّم للجميع المشروبات مجاناً، كان قد ترك عمله كخبيرٍ في شركة نفطٍ أمريكيةٍ في العراق، كان يتقاضى فيها حوالي 2000 دولار، وذلك عند انتشار الجيش الحرّ في المدينة، ليجلس بين أهله وناسه، أو يموت معهم، كما يقول دائماً.

# "رغيف الميادين"... الرغيف الأكـــثر شـــهرة

هنادي عبد الوهاب

**حين كانت إحداهنّ تناول "رغيفها" للأخرى كانت تُتبع أعطيتها هذه بسيلٍ من التحذيرات والنصائح للمرأة الجديدة على التجربة، كي يتحقق مرادها وتنال ما تسعى إليه. هذا ما يحدث الآن في ريف الميادين فيما يتعلق بـ"الرغيف" الذي يتمّ تداوله بين النسوة، لتحقيق الأماني. عدا عن كمٍّ كبيرٍ من الخرافات التي بدأت تشيع يوماً بعد يومٍ في الميادين وريفها.**

"عين المدينة" حاولت تتبع العديد من تلك الخرافات وكيفية تعامل الناس معها، بالإضافة إلى أسباب انتشارها، والشريحة الاجتماعية التي تؤمن بها. السيدة زهرة عطا الله، معلمة مدرسةٍ في ريف الميادين، أوضحت لـ"عين المدينة" أن الشريحة العمرية التي تؤمن بتلك الخرافات كانت تنتمي إلى كبيرات السنّ من النساء، أما الآن فهي تنتشر في بين الشابات، المتعلمات منهنّ والأميات على حدٍّ سواء. حدثتنا عطا الله في البداية عن "رغيف الميادين": هو قطعة خبزٍ يتمّ تداولها بين النساء وفي المدارس بصورةٍ خاصة. ويتمّ التعامل مع قطعة الخبز تلك على أنها خبزةٌ مباركة. يجب على المرأة صاحبة الحاجة أن تأخذ رغيف الخبز ذاك وتضعه في إناءٍ محكم الإغلاق، وتقرأ عليه سورة "يس"، ثم تذكر حاجتها. وعليها هنا أن تحرص كي لا يراه أحدٌ من الذكور حتى لو كان مجرّد طفلٍ رضيع، لأن الرغيف سيفسد ويصبح عديم الجدوى. أما إن نفّذت المرأة هذه النصائح فإن الرغيف سيتحول في اليوم التالي – عند المرأة الصالحة – إلى رغيفين منفصلين فوق بعضهما البعض، عليها أن تحتفظ بأحدهما وتعطي الآخر لامرأةٍ أخرى تحتاجه لتحقيق رغبةٍ ما. بالطبع، حين سمعتُ الحكاية استهجنتُها. ولكنني حين شاهدت صديقاتي يقبلن على تداوله، وتقسم كل واحدةٍ منهنّ إنها جرّبت الرغيف ووجدته في الصباح وقد تحوّل إلى اثنين، وإن ما كانت تتمناه قد تحقق؛ شعرتُ برغبةٍ شديدةٍ تدفعني لتصديقهنّ. ليس لديّ أولاد، وقد يكون مفعول الرغيف حقيقياً؛ هذا ما كانت تحدثني به نفسي وأنا أرى اندفاع زميلاتي للحصول عليه. إلا أنني أعود وأفكر في الأمر وأستغفر الله. وطبعاً يوجد العديد والعديد من القصص المماثلة التي تنتشر ثم تعود لتضمحل. ولكن ربما يعدّ هذا الرغيف هو الأشهر بينها، بسبب سرعة انتشاره بين النساء الأميات كما بين المتعلمات، مع الأسف.

عرائس الفرات للفنان عبود سلمان

## اختفاء السحر قسراً... فاقم الخرافات

وحول أهم الأسباب التي أدّت إلى انتشار هذه الظاهرة التقت "عين المدينة" بالسيد ناصر علاوي، أحد رجال الدين في ريف الميادين، والذي ردّ هذه الظاهرة، بالدرجة الأولى، إلى انتشار الجهل ومظاهره المتعددة، حتى بين الشريحة التي يمكن أن يُطلق عليها "المتعلمون". كما يضيف العلاوي سبباً آخر هو: طولُ الأزمة السورية، وامتداد الحرب التي شملت آثارها كلّ مكانٍ في سوريا بلا أيّ أفقٍ من آفاق الحل. إن هذا الأمر، حين يجتمع مع ضعف الإيمان، لا بدّ وأن يجرّ المرء إلى الإيمان بالخوارق والتعلق بها وانتظار الحلّ من غير الله عزّ وجلّ، والعياذ بالله. ويمكن القول هنا أيضاً إنه، وعلى مرّ العقود، كانت شريحةٌ من الناس تتعلق بالسحر والشعوذة والخرافات. وهذه الشريحة كانت موجودةً في منطقتنا، وإن كانت قليلة. وفي العامين الأخيرين، مع سيطرة جبهة النصرة، وارتفاع الصوت الإسلاميّ في المنطقة، تراجع "السحر" بشكلٍ كبير، ويكاد يكون قد اختفى من المنطقة، بسبب المخاوف من العقوبة التي يمكن أن يتعرّض لها من يمارس الشعوذة أو يدعو إليها. ومع غياب الشعوذة بدأ يظهر بشكلٍ واضح هذا الميل إلى تصديق الكثير من الخرافات، وانتشارها بشكلٍ ملفتٍ يستحق التوقف.

# الأعشاب الطبية...
# هل تنافس العطارة الطبّ الحديث؟

بلال عبد القادر

**خلال ثلاث سنواتٍ من الثورة، لن تبذل جهداً كبيراً في إحصاء ما تغيّر في دير الزور عموماً. فعلائم التغيّر تلوح لك مع كلّ مظهرٍ من مظاهر الحياة في مدن المحافظة وريفها، بعضها تمرّ عليه مرور الكرام وبعضها يسترعي الانتباه. ولعلّ من أبرز تلك المظاهر حالة الإقبال الشديد التي تستوقفك أمام محلات العطارة وأماكن بيع الأعشاب الطبية.**

"عين المدينة" تابعت هذه الظاهرة محاولةً رصدها وتبيان الأسباب التي أدت إلى انتشارها على هذه الصورة. ولكن، لا بدّ من التذكير قبل ذلك أن استخدام الأعشاب بقصد العلاج شائعٌ في دير الزور قبل الثورة، ولكن على نطاقٍ ضيق جداً، ولا يتمتع بثقةٍ تذكر بين العامّة إلا في حالاتٍ نادرة. وكان التداوي بالأعشاب يستخدم أساساً في إحدى حالتين؛ إما الأشخاص الذين يلجؤون إلى بعض الأعشاب بسبب نجاعتها في علاج أمراضٍ بسيطةٍ كتلك الناجمة عن البرد، أو في حالاتٍ مرضيةٍ يعجز الأطباء عن مداواتها فيتمّ اللجوء إلى التداوي بالأعشاب هنا على مبدأ قشة الغريق. ولكن، بعد الثورة أصبح هذا النوع من العلاج يشهد إقبالاً كبيراً بين الناس. أحمد منذر الصالح، أحد العطارين في مدينة البوكمال، تحدّث عن التداوي بالأعشاب، وعن أبرز الأمراض التي تجعل الناس تلجأ إلى العطارين، فقال: العطارة، كمهنة، لم تتوقف أبداً. وظلّ لجوء الناس إلى التداوي بها موجوداً، ولكن على نطاقٍ ضيق جداً. إلا أن الذي تغيّر في الأشهر الأخيرة هو الإقبال الواسع عليها لعدّة أسباب، أولها وأهمها فقدان الثقة بالأطباء عموماً، وبالأخصّ بعد مغادرة عددٍ كبير جداً منهم إلى خارج القطر، وقلةٌ ممن بقوا هم من الأطباء الماهرين الذين يوثق بهم، عدا عن الأخطاء الطبية القاتلة التي تسببت بكوارث صحية، مما جعل الناس تعود إلى التداوي بالأعشاب التي - وعلى حدّ تعبير الكثيرين - "إن لم تنفع لن تضرّ".

وقد ازداد الإقبال في السنتين الأخيرتين على الأعشاب في علاج الأمراض التنفسية، وبالأخصّ أمراض الربو والتحسّس القصبيّ، التي انتشرت بشكلٍ واسعٍ جداً جداً، وأدّت إلى امتلاء عياداتٍ الأمراض الصدرية بالمرضى. ولكن، في ظلّ التدهور الحاصل في البيئة، ونسبة التلوّث المرتفعة، فإن العلاج بالأدوية الكيميائية لا يجدي في أحيانٍ كثيرةٍ مع استمرار العامل المسبّب للمرض، وهو التلوّث. وحين لا يجد المريض أيّ شكلٍ من أشكال التحسّن لا بدّ وأن يلجأ إلى علاجٍ آخر على أمل أن ينقذه، فانتشرت بين الناس العديد من الوصفات، وبدأتَ تجد أشخاصاً يتصدّرون هذا المشهد بصفتهم "خبراء" في هذا المجال. هذا ما أفادتنا به السيدة سمر الجاسم من الميادين، وأضافت: العديد من الناس يلجؤون إلى أطباء في محافظاتٍ أخرى أو حتى خارج القطر ممن ذاعت شهرتهم في هذا المجال، وخاصةً في مدينة حمص وفي دولة الأردن. يتمّ التواصل مع هذا "الخبير" عن طريق الهاتف، وشرح الأعراض له، فيتم إعطاء الوصفة على الهاتف وإرسالها بعد تحويل ثمن الأعشاب، الذي قد يصل إلى مبالغ كبيرةٍ جداً. وقسمٌ كبيرٌ من هذه الوصفات بلا فائدة، وقسمٌ آخر منها أيضاً يعتمد على العلاج بقوة الاعتقاد. كما ينتشر اللجوء إلى الأعشاب في حالات اليأس من العلاج، مثل حالات مرض السرطان، كسرطان المعدة مثلاً، وخاصةً في الحالات المتقدّمة منه، حين يعلن الأطباء عجزهم عن إنقاذ المصاب به.

السيد عدنان رافع، وهو يعاني من مرض الحساسية، تحدّث عن تجربته مع هذا النوع من العلاج بالقول: معظم الأدوية التي يقدّمها العطارون لمثل حالتي تتمحور حول الحبة السوداء والزعتر البرّيّ والبصل والفجل وشقائق النعمان. عنّي، أنا أشعر بتحسن كبير الآن، ولديّ ثقةٌ بهذه الوصفات أكثر من الأدوية الأخرى التي استمرّت معاناتي معها قرابة سنتين. ولكن هذا الكلام لا ينطبق على جميع الحالات، فهناك أشخاصٌ آخرون لم ينفع معهم هذا العلاج.

# نهر الخرَيْطة الصغير

يوسف الخضر

**تتلخّص فكرة المشروع في جرّ مياه الفرات إلى مجرىً قديم للنهر، بعد إعادة تأهيله، لريّ الأراضي الزراعية في بلدة الخريطة وثلاث قرىً مجاورةٍ لها.**

لن يستفيد سكان الخريطة، في ريف دير الزور الغربيّ، وحدهم من "النهر الصغير"، بل ستعمّ الفائدة القرى المجاورة في كلٍّ من (زغير شامية، الحوايج، عياش). هو مشروعٌ هامٌّ لحياة الفلاحين والسكان هناك، يُسجّل كنجاح في قائمة أعمال مجلس الخريطة المحليّ، وكذلك للناشطين هناك وللأهالي الذين أبدوا حماسةً لإنجاز المشروع.

يقول محمد حسّان، وهو ناشطٌ في لجان التنسيق المحلية بالخريطة: "النهر الصغير انتصارٌ من انتصارات الثورة على نظام الأسد في دير الزور، ونجاحٌ من نجاحات الثوّار في إدارة مناطقهم وخدمة سكانها".

طُرحت الفكرة أولاً من قبل عبد الحميد الحسين، وهو مسّاح أراضٍ محترفٌ من أبناء الخريطة، بعد أن أعدّ دراسةً أوليةً، بما توافر لديه من أجهزة مسح قاسى في سبيل تأمينها مصاعب كثيرة. وأقنع الحسين مجلس الخريطة بجدوى المشروع، ليتمّ تبنيه ثم طرحه على الجهات المموّلة. وفي الشهر الثالث من العام الحاليّ وافقت الحكومة المؤقتة على تمويل المشروع ورصد الاعتماد الماليّ اللازم له. إلا أن الظروف الخاصّة بالاشتباكات التي اندلعت في ذلك الوقت بين مقاتلي تنظيم "الدولة الاسلامية" وخصومهم أخّرت البدء بتنفيذ المشروع، لتبدأ المباشرة في الأسبوع الثاني من الشهر الفائت. وخلال أشهر، بحسب ما يضيف الناشط حسان: "ستعاود مياه الفرات جريانها في النهر الصغير، بعد انقطاعها عنه لسنواتٍ كثيرة".

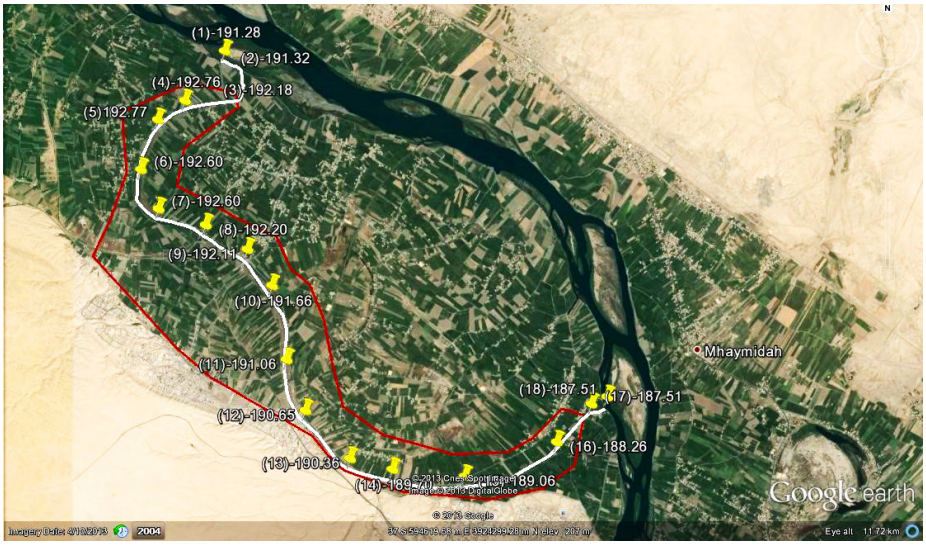


مجرى النهر

في الماضي، كان النهر الصغير فرعاً من الفرات، يبدأ من قرية (زغير شامية) غربيّ الخريطة، ثم يمرّ بها وبقرية الحوايج، قبل أن يصبّ في الحوض الرئيسيّ للفرات في قرية عياش. وفي سبعينيات القرن المنصرم، وبعد تشغيل سدّ الفرات، انخفضت مناسيب المياه في ذلك الحوض مما أدى إلى توقف جريان النهر الصغير الذي تحوّل بدوره، مع مرور السنوات، إلى مستنقع شريطيٍّ يلوّث البيئة المحيطة. ويهدف المشروع الحاليّ إلى إعادة المياه إلى مجراها القديم بعد تنظيفه من النباتات المستنقعية أولاً، ورفع الطمي المتراكم، وكذلك توسيعه في بعض المقاطع والحفر في مقاطع أخرى لتعميق القاع، وخاصةً في مقدمة المجرى، للوصول إلى مناسيب كافيةٍ لتسهيل مرور الماء من حوض النهر الرئيسيّ إلى هذا الفرع بما يحقق الغزارات المطلوبة.

بحسب نصّ دراسة للمشروع، ستروي مياه "النهر الصغير" الأراضي الزراعية بمساحة 1000 هكتار في أربع قرى، بعد أن كانت تعاني من شحّ مياه الريّ، وسيتيح المشروع للفلاحين استثمار أراضيهم بالشكل الأمثل وعلى مدار السنة. ويمكن للجمعيات الفلاحية وللأفراد تركيب مضخاتٍ لرفع المياه على جانبي "النهر الصغير" مقابل رسم اشتراكٍ مناسبٍ يُدفع للمجلس المحليّ في بلدة الخريطة لتحقيق عائداتٍ ماليةٍ تغطي نفقات الصيانة والتشغيل.

خلال شهرٍ تقريباً من المباشرة، نُفذ 30% من المشروع. وهذا معدل إنجاز جيدٌ حققه 16 شخصاً هم كادر التنفيذ. وتحمّل المجلس المحلي ديوناً للإنفاق على بعض الأعمال أو البنود الطارئة التي لم تكن محسوبةً في دراسة المشروع، مثل استئجار بعض الآليات التي وعد مجلس المحافظة بتأمينها أثناء الدراسة وعجز عن ذلك لاحقاً بسبب التغيرات الأخيرة التي حدثت في دير الزور.

خلال تنفيذ المشروع

بحسب الدراسة، بلغت الميزانية الإجمالية للمشروع 100 ألف دولار، اعتمدتها الحكومة المؤقتة وقدّمت منها مبلغ 40 ألفاً لتنفيذ المرحلة الأولى.

يبلغ طول المجرى (12.5) كم، والعرض المتوسط (10 - 20) متراً.

القيمة المتوقعة للتكاليف الطارئة – غير المحسوبة في الدراسة – 8 ملايين ل.س، نتيجة استئجار بعض الآليات والمعدّات وتشغيلها.

# تغيّرٌ نوعيٌّ يلحق بأسواق دير الزور...

## توقف تصدير النفط إلى الشمال، وانفتاحٌ على أسواق العراق

فراس العمري

كانت لسيطرة "الدولة الاسلامية" على دير الزور آثارٌ كبيرةٌ على الأسواق في مدن وبلدات المحافظة، وخاصةً مع إلغاء الحدود مع العراق.

عوامل عدةٌ جعلت من الميادين المركز الاقتصاديّ الأول في دير الزور بعد الثورة. وفي هذه المدينة يمكن رصد التحوّلات التي تطرأ على أسواق المحافظة، وخاصةً مع المقدرة المميزة لتجارها على التكيف مع هذه التغيرات، كما حدث مؤخراً بعد سيطرة "الدولة الاسلامية" على الأجزاء المحرّرة من المحافظة. فتغيرت أولاً، ونتيجةً لهذه السيطرة مع ما يرافقها من أحداث العراق، سوق النفط المستخرج من حقول دير الزور. فقد تراجعت، إلى حدٍّ كبير، عمليات بيع النفط الخام إلى محافظات الشمال والغرب السورية لصالح زبائن جدد في العراق، بعد أخضعت هذه الحقول لإدارةٍ مركزيةٍ صارمةٍ نظمت عمليات الاستخراج والبيع والتوزيع. فلم تعد صهاريج حلب العملاقة تظهر على الطرقات إلا نادراً. ولم تعد مكاتب الصرافة والتحويل إلى الخارج تعمل كما في السابق، حينما كان بعض الزبائن من رجال النفط يحملون عوائد آبارهم في "أكياس البطاطا" المحشوة بالأوراق النقدية، مع تقديرها بالوزن لصعوبة العدّ مع هذه المبالغ الهائلة. ولم يعد للبضائع الكمالية مستهلكون كثر كذلك، فـ"الطفرة النفطة العشوائية" أصبحت ماضياً يتحسّر عليه المستفيدون منه ويشمت بذهابه الناقمون على آثاره. ونتيجةً لهذه التغيرات تراجع السوق بشكلٍ عام، وتقلصت الكتلة المالية المتداولة، لهروب جزءٍ كبيرٍ من رأس المال إلى بيئاتٍ أخرى، أو كمونه بانتظار ما ستسفر عنه الأيام القادمة. وبرز هذا الكمون أكثر ما برز في سوق العقارات التي تراجعت أسعارها إلى حدٍّ كبير يقدّره البعض بنسبة الثلث تقريباً، بالمقارنة مع أسعارها قبل أشهر قليلة.

### طريقٌ مفتوحةٌ بين سوريا والعراق

يشهد معبر البوكمال الحدوديّ، بعد سنواتٍ من إغلاقه، نشاطاً لافتاً في حركة انتقال البضائع بين جانبي الحدود، أو داخل الأرض الواحدة بحسب ما يعتبر مسؤولو "الدولة الاسلامية" في نظرتهم الدينية لكلٍّ من مدينتي البوكمال والقائم وغيرهما من مدن سوريا والعراق. وأصبح مشهداً مألوفاً رؤية تجارٍ عراقيين في أسواق مدن دير الزور والعكس كذلك، بحسب ما يروي القادمون من العراق. ويجد كلاهما ما يشتريه؛ فالخضار الصيفية المنتجة في ريف دير الزور، والقادمة إليها من المحافظات السورية الأخرى، بضاعةٌ رابحةٌ للتجار العراقيين. وكذلك الألبسة المصنعة في تركيا أو في حلب ودمشق، تجد هي الأخرى طلباً متزايداً في أسواق العراق عبر مدينة الميادين. ويثير الانتباه ظهور نمطٍ جديدٍ وإضافيٍّ من الزبائن هم مندوبو المنظمات الإغاثية العراقية، الذين يشترون كمياتٍ كبيرةً من الأدوية بمختلف أنواعها. ويشرح تجّار الدواء أثر هذا على السوق، فيقول صاحب مستودع دواءٍ رفض ذكر اسمه: "سوق الدوا انضرب بعد ما سيطرت الدولة عالدير، تراجع الطلب وخافوا التجار وبلشوا يسحبون مصاريهم. ومع جية العراقيين تحسن الوضع". ويفسّر أبو عبد الله، وهو تاجر أدوية، تراجع الطلب على الدواء في أسواق دير الزور بنزوح أعدادٍ مؤثرة من السكان إلى خارج المحافظة بعد سيطرة "الدولة الاسلامية"، يقدِّر عددهم برقم - مبالغ فيه حسب متابعين - هو خمسين ألفاً، مما أبعد مستهلكين محتملين عن السوق. ويذكر أيضاً سبباً آخر هو انخفاض نسبة الجرحى في الأسابيع الأخيرة إثر توقف المعارك. وبحسب أبو عبد الله فإن منظمات الإغاثة العراقية أنقذت سوق الدواء من الركود، عندما تحسّنت المبيعات مؤخراً. ولم يؤدِّ الطلب المتزايد على الدواء إلى ارتفاع أسعاره حتى الآن. ومن جانبٍ آخر قدّمت الأسواق العراقية بدائل لبعض الأدوية المفقودة في المحافظة، وتوافر حليب الأطفال القادم من العراق بأسعارٍ معقولة، بعد أن كان سلعةً نادرةً منذ شهر أيار الفائت في صيدليات دير الزور.

متوسط أسعار بعض السلع الرئيسية في أسواق الميادين خلال الأسبوعين الأخيرين:

ليتر بنزين (مفروز كهرباء): 75 ل.س
ليتر بنزين نظامي (سادكوب): 300 ل.س
ليتر المازوت (مفروز كهرباء): 70 ل.س

ربطة خبز (12 رغيف): 125 ل.س
1 كغ بندورة: 100 ل.س
1 كغ خيار: 120 ل.س
1 كغ باذنجان: 50 ل.س
1 كغ لحم ضأن: 1600 ل.س
1 كغ لحم بقر: 1300 ل.س
1 كغ سكر: 125 ل.س
1 كغ أرز: 200 ل.س

صهاريج نفط خام في دير الزور

# خدمات المجلس المحليّ لمدينة دير الزور... تتهاوى

صلاح إبراهيم

**حالةٌ من التراجع الكبير في الخدمات تعيشها محافظة ديرالزور منذ سيطرة تنظيم الدولة الاسلامية عليها منذ ما يقارب الشهرين. وقد أوقف المجلس المحليّ في المدينة الكثير من مشاريعه معللاً ذلك بتوقف المنظمات والمؤسسات الداعمة عن الاستمرار في التعاون مع المجلس أو مع المنظمات العاملة في المدينة، بسبب سيطرة التنظيم عليها.**

## عودة أزمة الخبز

"هاي آخر ربطة خبز نوزّعها"؛ جملةٌ سمعها معظم أهالي الأحياء المحرّرة في مدينة دير الزور في آخر أيام مشروع الخبز المجانّي الذي نفّذه وأشرف عليه المكتب الإغاثيّ في المجلس المحليّ، والذي استمرّ ما يقارب الستة أشهر، ووفّر ربطات خبز مجانية لقرابة الـ5000 عائلة خمسة أيام في الأسبوع. ويقول القائمون على المشروع إن المنظمة الراعية له توقّفت عن دعمه، مما تركهم، وكل المهتمين بالشأن المعيشي للديريين، في حيرةٍ كبيرةٍ وترقب ومخاوف من العودة إلى أيام مأساة فقدان مادة الخبز، والتي يذكرها الأهالي بمرارةٍ شديدة .

## النفايات تغزو شوارع المدينة من جديد

جولةٌ صغيرةٌ في الشوارع الرئيسية للأحياء المحرّرة ستلاحظ فيها بوضوح عودة أكوام النفايات، مما ينذر بأزمةٍ كبيرةٍ على المستوى الصحيّ، والخوف من انتشار الأوبئة في المدينة المنكوبة. يقول أحد أصحاب المحلات في شارع التكايا وسط المدينة إن الشارع، والمدينة بشكلٍ عامٍّ، كان قد شهد مستوىً مقبولاً جداً من النظافة خلال الأشهر الستة الماضية، وذلك بسبب المجهودات الواضحة لورش النظافة التابعة للمجلس المحليّ.

ولكننا لاحظنا توقف الكثير من العمال وسيارة نقل النفايات عن العمل في الأيام الماضية، مما سبّب هذا التراكم الكبير. وعند استفسارنا عن سبب التوقف بيّن لنا أحد أعضاء المجلس أنهم لم يعودوا قادرين على تغطية نفقات عملية تنظيف الشوارع. وأضاف: علينا الآن ديونٌ كبيرةٌ بسبب عدم قدرتنا على سداد الالتزامات السابقة، خاصةً مع عدم وجود ميزانيةٍ ثابتةٍ للمجلس، واعتماده بشكلٍ كاملٍ على الدعم الذي كانت تقدّمه المنظمات الخارجية، إضافةً إلى بعض المبالغ التي قدمتها الحكومة المؤقتة. وصلت الأمور إلى درجة أننا قمنا بإبلاغ العمال أننا غير قادرين على دفع رواتبهم، وأنهم في حلٍّ من العقود الموقعة معنا، وأن من أراد منهم الاستمرار فعمله سيكون "في سبيل الله" إلى أن نستطيع تأمين دفعاتٍ ماليةٍ جديدةٍ ندفع لهم منها مستحقاتهم .

## وداعاً للوجبات المجانية

وفي استمرارٍ لحالة التدهور التي تعيشها الخدمات في المدينة أوقف المجلس المحليّ مطبخه المجانيّ، لأسباب مالية أيضاً. هذا المطبخ الذي كان يغطي احتياجات ما يقارب الـ400 عائلة بشكلٍ يوميّ، تُوزّع عليهم الوجبات في ثلاث نقاطٍ، أصبح من الماضي؛ بهذه الكلمات الحزينة بدأ أحد القائمين على المطبخ حديثه. وأكمل يقول: حالنا حال أغلب مشاريع المجلس التي توقفت ووصل بعضها الى حالة المديونية والعجز، لعدم وجود أيّة جهةٍ في نيتها الاستمرار في دعم المجلس، مما أرغمنا على إيقاف المطبخ مع معرفتنا للأهمية الكبيرة التي يمثلها للأهالي المستفيدين منه. ولكن، وكما قال: "الله غالب".

## لا تزال أبواب المدارس مغلقة

طلاب دير الزور وأهاليهم يعيشون حالةً من الحيرة والضياع مع اقتراب العام الدراسي الجديد. فأمر افتتاح المدارس في المدينة، ومنذ دخول تنظيم الدولة الاسلامية إليها، لم يُحسم بعد. ويحاول القائمون على العملية التعليمية، والذين يمثلهم المكتب التربويّ التابع للمجلس المحليّ، التفاهم مع قيادات التنظيم للوصول إلى حلٍّ لهذه المسألة. وإضافةً إلى هذا الأمر، لا يجد العاملون في المجال التربويّ أجوبةً لأسئلةٍ تتزاحم في أذهانهم عن كيفية تأمين القرطاسية والكتب المدرسية، ومشكلة إيجاد كادرٍ تدريسيٍّ مختصٍّ وتأمين رواتب معقولةٍ لهم. وكان العام الدراسيّ الماضي قد شهد نجاحاً باهراً تمثل في افتتاح 12 مدرسةً لمختلف المراحل التعليمية، كما شهد نجاحاً في إدارة العملية الامتحانية للشهادتين تمّت على مستوى المحافظة. ويترقب الأهالي الأيام القادمة بأمل افتتاح عام دراسيٍّ جديدٍ بلا منغصات، وإلا فإنهم سيضطرّون إلى النزوح مرّةً أخرى بحثاً عن مكانٍ لتعليم أبنائهم، أو أن يتركوهم بلا مدارس تحفظ لهم ما تبقى من حقوق.

# أطفالٌ أميّون وطلابٌ بلا مدارس ولا جامعات..

فراس العمري

**لم يوفّر الخراب الذي يعمّمه بشار الأسد، في حربه المجنونة على السوريين، أي جانبٍ من جوانب حياتهم. ونال التعليم نصيباً وافراً من هذا الخراب.**

تشهد العملية التعليمية في المناطق المحرّرة حالة انهيار كارثية، لم يخفف منها استمرار بعض المدارس المشغلة من قبل وزارة تربية النظام، ولم تخفف منها كذلك المحاولات العشوائية والخجولة للحكومة المؤقتة لتقديم البديل. والآن يسهل كثيراً أن نعثر في أيّ شارع من شوارع المدن والبلدات والقرى المحرّرة على طفلٍ أميٍّ في العاشرة من العمر. وأصبح مألوفاً أن نجد مدرسةً ابتدائيةً مغلقة الأبواب - إلا أمام النازحين - منذ سنتين أو ثلاث، وكذلك حال المدارس الإعدادية والثانوية.

يدرك الكثير من الآباء والأمهات خطورة ما يحدث على حياة أبنائهم، لكن انشغالهم بهموم العيش اليومية جعل من تعليم الأبناء هماً ثانوياً. ويندر الآن أن يتذكر أبٌ مهارة طفله بالقراءة ويتباهى به، بعد أن كانت "شطارة الأولاد" جزءاً من الفخر العائلي لكثيرٍ من أبناء الطبقة الوسطى - وفق المقاييس السورية - وهي الأكثرية سابقاً، أو حتى كثيرٍ من أبناء الطبقة الفقيرة. ولم يعد دخول الجامعات حدثاً سعيداً وخطوةً نحو مستقبلٍ أفضل، بعد أن كان معركةً يقاتل فيها الأبوان إلى جانب ابنهم لتحصيل مرتبةٍ أعلى.

يتحدّث مصعب، وهو مدرّسٌ قديمٌ لعلم الأحياء من مدينة الميادين، بحزنٍ عن مهنته. ويصف حالة التعليم بأنها "يرثى لها". ويأسف وهو يصف إخفاق "الثوّار والمعارضة" في الجانب التعليميّ، رغم مشاعر الحماس والتفاؤل التي عاشوها بعد تحرير الميادين قبل حوالي العامين، ورغم محاولات المجلس المحلّي و"تجمع أحرار الميادين" آنذاك لفعل شيءٍ ما، لكن العوائق والصعوبات كانت أكبر من حماسهم ومقدرتهم على تجاوزها.

ورغم مأساوية المشهد التعليميّ، تلفت الانتباه في مدينة الميادين ومدنٍ أخرى رؤية شبانٍ صغارٍ في فصل الصيف، يحملون كتباً ودفاتر وهم يتوجّهون إلى معهدٍ أو مدرّسٍ خاص. هي ظاهرةٌ وتقليدٌ من تقاليد الثانوية العامة في سوريا قبل الثورة، لكن استمرارها، ولو على نطاقٍ ضيق، أمرٌ يدلّ على الإصرار من قبل بعض العوائل على إدخال أبنائها الجامعات. "فالحياة يجب أن تستمرّ"، بحسب هؤلاء الآباء، "ولو في جامعات الأسد"، بحسب من يستنكر إرسال ابنه للدراسة في جامعات حلب والفرات ودمشق. وبعضهم "يرسل ابنه الى اللاذقية ليدرّسه في جامعة تشرين"؛ يعلّق موظفٌ متقاعدٌ يعتبر الذهاب إلى الجامعة "منح شرعيةٍ للنظام". ويستغرب الموظف كيف تدفع عائلةٌ معدمةٌ مبلغ 120 ألف ليرةٍ لتكاليف الدورات الخصوصية لابنها طالب الثانوية العامة. ويؤيد رأي الموظف مقاتلٌ من الجيش الحرّ، كما عرّف عن نفسه، فيقول: "لا أهمية للدراسة قبل تحرير سوريا وطرد عصابة بشار الأسد منها وإعادة بنائها من جديد". ويضيف شارحاً: "عليك أن تهدم هذا البناء وتبني بدلاً عنه، خيرٌ لك من تبحث في زواياه عن مكانٍ لمقعدٍ آمنٍ للدراسة".

ويرى عمار، وهو ثائرٌ متفائلٌ ومنطقيّ، أن التعليم مسؤولية الجميع، وعلى كلّ فردٍ من أبناء المناطق المحرّرة المشاركة في بنائها من جديد، و"إبراز التفوّق الحضاريّ والأخلاقيّ على نظام الأسد".

طلاب سوريون يقدمون امتحاناتهم في مخيمات اللجوء

تمكن عمار من الحصول على قبول في كلية الهندسة الميكانيكية بجامعة حرّان بولاية أورفة التركية، بعد أن نجح في امتحان الشهادة الثانوية العامة الذي أجرته الحكومة المؤقتة. وتبدو فرحته بالحياة الجامعية القادمة غير مكتملة، فبعض الأصدقاء ممن كانوا معه في المدرسة استشهد، والبعض ترك المدرسة، والبعض الآخر ممن حصل على ذات البكالوريا لا يستطيع تحمل نفقات الدراسة في تركيا. وعجز الناجحين في ثانوية الحكومة المؤقتة عن إكمال دراستهم الجامعية مشكلةٌ كبيرةٌ لم تفكر هذه الحكومة - كما يبدو - في حلها بطريقةٍ ناجعة. ولولا اعتراف الجامعات التركية بهذه الشهادة لبقي جميع الناجحين فيها في بيوتهم. ولا يزال المئات منهم، وبعد مرور عام على النجاح، عاجزين عن متابعة تعليمهم. ويسجّل للحكومة المؤقتة نجاحها في إجراء الامتحانات، ويؤخذ عليها فشلها في موضوع استيعاب طلبة ما بعد الثانوية في جامعاتٍ ومعاهد.

وقد يكون لهذا الفشل ما يبرّره من أسبابٍ موضوعيةٍ تتعلق بالإمكانيات المتوافرة، لكن هناك أسباباً أخرى ذاتيةً تتعلق بطريقة العمل وكفاءة العاملين وإخلاصهم للثورة في هذا الجانب. وهناك حلولٌ يمكن العمل بها، مثل إنشاء جامعاتٍ في الأراضي المحرّرة على الحدود التركية، أو إنشاء فروع لجامعاتٍ قائمةٍ في بعض الدول العربية - لتسهيل عمليةً الاعتراف - في هذه الأراضي. ويشكل تخبّط الحكومة المؤقتة في إدارة العملية التعليمية - وقضايا أخرى بالطبع . بكافة مراحلها في المناطق المحرّرة عامل ريبةٍ لدى جزءٍ من سكان هذه المناطق، مما يدفعهم إلى مواصلة الوثوق بمؤسسات النظام أو مؤسسات الدولة السورية - كما يقولون، دفاعاً عن خيارهم هذا - التي ستستمرّ بعد السقوط الأكيد لهذا النظام.

بعد أيام سيبدأ عامٌ دراسيٌّ جديد، وستكون في المناطق السورية مناهج تعليميةٌ مختلفة، باختلاف القوى المسيطرة. وفي دير الزور، التي خضعت مؤخراً لسيطرة "الدولة الاسلامية"، لا يشعر الكثيرون بالتفاؤل، وخاصةً مع التدخل الكبير لمسؤولي "الدولة" في المناهج وفي إدارة العملية التعليمية.

# إحداث تسع جامعاتٍ خاصّةٍ لمن نجح في امتحان الثانوية بالخطأ!

ميلاد بهنو - الحسكة

**بعد أن فقد نظام الأسد سيطرته على أكثر من نصف المناطق السوريّة، وبعد الدمار العمرانيّ والاقتصاديّ الذي حلّ بالبلاد، والأهمّ من ذلك كمّ الشهداء الذين ارتقوا خلال عمر الثورة، وعدد المعتقلين الذين لا يُعرف مصيرهم، وتشرّد أكثر من مئات الألوف في مخيّمات اللجوء؛ يحاول بشار الأسد أن يحسّن صورته في أعين مواليه، بإقرار مراسيم تشريعيّةٍ خاصّةٍ بالمجال التعليميّ.**

جيلٌ كاملٌ ترك المدارس في هذه السنوات الثلاث وتوجّه إلى العمل، يافعين وصغاراً، بعدما أغلقت أغلب المدارس، وتوقّفت العملية التعليميّة، في حين بقيت مدارس تنظيم داعش، والمدارس الواقعة في مناطق حكم الأسد، تعمل، ولكن يسيطر عليها الفساد بكلّ أنواعه، كما يقول الأستاذ أحمد.

وطال القصف آلاف المدارس، فيما أصبحت مئاتٌ أخرى ملجأً للأخوة النازحين من المناطق الساخنة، في حين صارت بعض المدارس مقرّاً لفصائل عسكريّة.

أمّا فيما يخصّ المدرّسين فمنهم من حمل السلاح في وجه النظام، ومنهم من قُطع راتبه لأنه شارك في إحدى المظاهرات المنددة بأفعال النظام، فيما بقي مدرّسون تحت ظلّ النظام بحجّة الحفاظ على رواتبهم. لكنّ الأطفال كانوا المتضرّر الأكبر من إغلاق المدارس، بعدما انشغلوا بالعمل من أجل إعانة أهاليهم على تحمّل مشقّات الحياة، فيما لم تتضرّر طائفةٌ قليلةٌ ممن أكملوا تعليمهم في المدارس الخاصّة ذات التكاليف العالية.

وفي هذه الظروف يخرج الأسد ليقرّ مرسوماً تشريعيّاً جديداً اعتبره البعض نتاج إجرامه في البلد، ومحاولةً لطمس آثار الجريمة، إذ يقرّر إنشاء هيئةٍ عامةٍ تحمل اسم المدرسة الإلكترونيّة من أجل إتاحة التعليم للجميع. وفي سياقٍ آخر أقرّت حكومة الأسد تراخيص تسع جامعاتٍ خاصّةٍ مؤخراً، في كلٍّ من حمص واللاذقية وحماة وطرطوس والسويداء.

سخر البعض من المرسوم، ومن كثرة عدد الجامعات بالمقارنة مع قلّة عدد الطلبة المنتسبين إليها، بعدما أصبح التعليم حاجة ثانويّة لمعظم السوريين. وقال الشاب عبد الرزاق، الذي ترك دراسته منذ سنتين، لـ"عين المدينة": "ما نفع إحداث جامعاتٍ خاصّةٍ دون أن تمتلئ بالطلاب؟! ثمّ لن يكون التعليم متاحاً في هذه الجامعات إلا لأبناء رجال الأعمال الموالين للنظام وأبناء الأمن".

## فرصةٌ تعليميةٌ للشبّيحة!

بالمقابل، أدّت الفوضى التعليميّة الحاصلة في مناطق النظام إلى تشجيع الشبيحة على التقدّم للامتحانات، مستغلّين سلطتهم وطامعين بنيل الشهادة. فكانت السنوات الثلاث الماضية فرصةً لعساكر النظام القائمين على الحواجز الموجودة داخل المدن، وعناصر الأمن والشرطة، من أجل التقدّم لامتحان الشهادة الثانويّة، واستغلال الفوضى الإداريّة في مجال التعليم.

"عين المدينة" كانت قد شهدت على بعض هؤلاء الذين نجحوا في امتحان الثانويّة في مدينة الحسكة بفضل الغش، عندما قال أحدهم بفخر: "تمّ تصنيفي من الأوائل على مستوى الحسكة، بمجموع ينقص عن العلامة التامّة ثماني درجات. والفضل، من بعد الله، للكتب ولأصدقائي المراقبين الذين غطّوا عليّ عندما كنت أدخل معي الكتب إلى قاعة الامتحان"!

ولم يقتصر الأمر على امتحانات الثانويّة، إنما كانت الفوضى أكبر في الحرم الجامعيّ. ومن هنا، يرى مطّلعون أنّ الجامعات الخاصّة، التي أحدثت في مناطق النظام مؤخّراً، ستكون مليئةً بالطلبة الناجحين من عناصر الأمن والشبيحة، وكلّ من استفاد من فوضى التعليم في المرحلة الراهنة.

# في المنصورة... الخدمات مستقرّة
# فرص عملٍ جديدةٌ وانتعاشٌ نسبيٌّ للأسواق

كمال الفواز

تعدّ المنصورة بوابةً لباديةِ الشام من الرقة. وكانت فيما سبق سوقاً لقاطني الباديةِ. يعمل معظم سكان المنصورة في زراعة الحبوب والقطن وتربية المواشي. ويتاجر البعض بالمنتجات المحلية ولوازم الزراعة والأعلاف. ويسافر البعض الآخر للعمل الموسميّ في لبنان، أو الدائم في بلدان الخليج.

وخلال الثورة لم تسجل أيّة أحداثٍ حافلةٍ في المنصورة، إذ خرجت بهدوءٍ في مطلع العام الفائت من سيطرة النظام، لتبقى دون إدارةٍ لبضعة أشهر، إلى أن تشكل مجلسها المحلّي ليشغل الفراغ الناجم في هذا المجال. وبمراجعة أعمال هذا المجلس ونشاطاته تبرز صيانة شبكة الطاقة الكهربائية في مقدمة هذه الأعمال، مع بعض الأنشطة الإغاثية للنازحين. فقد استطاع المجلس المحافظة على مستوىً جيدٍ من خدمة التيار الكهربائيّ المقدّمة للسكان، يساعده في ذلك القرب الجغرافيّ من سدّ الرشيد الذي تغذي عنفاته المنصورة وجوارها. وتتلخص أعمال صيانة شبكة التيار الكهربائيّ بإصلاح المحوّلة الرئيسية في وسط البلدة، وربط بعض أحيائها بخطوط تغذيةٍ إضافيةٍ، مثل خط البادية وخط صوامع الحبوب، بغية تخفيف الحمولات وتنويع مصادر التغذية، مما أدّى إلى الحفاظ على جودة الخدمة واستقرارها. ويشهد محمد، وهو شابٌّ من أهالي المنصورة، بعمل مجلسها المحليّ في هذا الجانب. فالكهرباء، بحسب محمد، "لا تنقطع إلا نادراً. وإن انقطعت تقوم الورشة بإصلاح العطل خلال ساعاتٍ فقط".

يمكن القول إن طبيعة السكان المسالمة، وسيرة المنصورة خلال الثورة، فوّتا الفرصة لاندلاع مواجهاتٍ أثناء سيطرة "الدولة" على البلدة. فتابع المجلس المحليّ عمله، وبقي معظم أعضائه في وظائفهم. غير أن النشاط الإغاثيّ تراجع إلى حدٍّ كبير، بحسب ما يقول أعضاء المجلس، إذ توقفت المنظمات الإغاثية عن إرسال السلال الغذائية إلى المنصورة بعد وقوعها تحت سيطرة التنظيم. وبحسب بعض الأعضاء عمل المجلس، وبتشجيعٍ ومساعدةٍ من قبل بعض الأشخاص المقتدرين مالياً، على تأسيس جمعيةٍ خيريةٍ تعنى بشؤون الأيتام والأرامل فقط. وأسهم المتبرّعون في إعادة تشغيل المستوصف الصحيّ. وعملوا مع المجلس على إقامة مخيمٍ صغيرٍ للنازحين بجوار موقع السدّ. فيما يقلّل بعضُ النازحين من أهمية مشاركة المجلس في أعمال الإغاثة، ويحصرها بتقديم بعض الخيام والأغطية.

رغم الظروف القاسية التي تمرّ بها البلاد، وجدت المنصورة فرصتها الخاصّة نتيجة تغير أحوال الطرقات، عندما تحوّل الطريق الواصل بين المنصورة والرصافة إلى طريقٍ رئيسيٍّ تعبره شاحنات البضائع الضخمة وحافلات نقل الركاب المتجهة إلى المدن السورية المختلفة، مما جعل من هذه البلدة الصغيرة محطّةً هامةً للتجارة وتقديم الخدمات. يقول عبد الله، وهو نازحٌ من حلب، إن أحواله المادية تحسّنت كثيراً بتحوّل المنصورة إلى عقدة مواصلات؛ ففي السابق كانت واردات محلّ صيانة وتصليح السيارات الذي افتتحه لا تكاد تغطي مصاريفه، وبعد تغيرات الطرق ارتفعت واردات عمله بشكلٍ كبير، وهو يفكر اليوم ببناء منزل. "فمصائب قوم عند قوم فوائد"، كما يقول. وليس عبدً الله وحدَه من تحسّنت أحواله، فتجار التجزئة وأصحاب المطاعم والبقاليات وغيرهم كثيرٌ وجدوا في تغير خريطة المواصلات باباً للأرزاق.

رافق تحوّل المنصورة إلى عقدة مواصلاتٍ رئيسيةٍ نشوء مهنٍ جديدةٍ مثل تكرير النفط الخام وبيع مشتقاته، وهذا عاملٌ كبيرٌ في انتعاش المنطقة. ويذكر عقلة، من أهالي المنصورة، كيف بدّل النفط حياته؛ إذ كان يسافر لعشرة أشهرٍ إلى لبنان ويعود بحصيلة 100 ألف ليرةٍ سوريةٍ ينفقها في شهرين، ليسافر من جديدٍ في رحلةٍ من العذاب والغربة بعيداً عن عائلته. لكنه توقف اليوم عن ذلك، وتفرّغ لتكرير النفط الخام على حرّاقةٍ بمردودٍ شهريٍّ لا يقلّ عن سبعين ألف ليرةٍ في الشهر الواحد. "والحمد لله" يبتسم عقلة، "نحن بألف نعمة في المنصورة. وين كنا ووين صرنا".

في المنصورة وحدها ألف حراقة نفط، يعمل في كلٍّ منها ثلاثة أشخاص، مما يدرّ الدخل على ثلاثة آلاف عائلةٍ من مهنة التكرير وحدها، في ظروف الفقر والبطالة التي تطغى في سوريا حالياً. فمن يستطيع إقناع هؤلاء وسواهم بأن ما يفعلونه هو استباحةٌ لثروةٍ وطنيةٍ عامة، وبطرقٍ ستؤثر سلباً على البيئة والصحة، وفي مقدمة ذلك صحتهم هم أنفسهم؟!

شارع رئيسي بلدة المنصورة

# آثار منبج في مهبّ كلّ أنواع الباحثين عن الربح

موسى جلال

**مدينة منبج بريف حلب، والتي تتربّع فوق أهمّ الحضارات القديمة، تُسلب وتُنهب آثارُها بطرقٍ ووسائل متعددة، دون الاكتراث والاهتمام الفاعلين من جميع الأطراف الداخلية والهيئات والمنظمات الدولية.**

يعود أقدم ذكرٍ لمنبج إلى الألف الثاني قبل الميلاد. وكانت تعدّ أقدم دار ضربٍ للمسكوكات في المنطقة، كما اعتبرت نقطةً عسكرية وتجارية هامة، في العصرين الرومانيّ والبيزنطيّ. وكانت مركزاً دينياً هاماً، فقد بني فيها معبدٌ لربة المدينة "أتارغاتيس"، اعتُبرَ من أكثر المعابد قداسةً في تلك الفترة. وكانت مركزاً هاماً لفن النحت الذي تميّز بمفهوم جماليٍّ محليٍّ تأثر بالفنون السورية وخاصةً الفن التدمريّ.

منذ سنتين تستمرّ عمليات الحفر غير الشرعيّ بحثاً عن الآثار في هذه المدينة. فعند سيطرة الكتائب المقاتلة عليها كان الحفر يجري بشكلٍ سرّيٍّ من قبل بعض الأهالي، خوفاً من الهيئة الشرعية، أو من إحدى الكتائب التي كانت تقوم بمصادرة الآثار بحجة حمايتها، ويقال إنها كانت تبيعها فيما بعد. وبعد سيطرة ما يعرف بـ"الدولة الإسلامية" أصبح الحفر بشكلٍ علنيٍّ، لأن هذا التنظيم يسمح بذلك.

عملات معدنية في مواقع التنقيب في منبج

ويتم البحث والحفر بطرقٍ متعددة، منها مثلاً اللجوء إلى من يدّعون أنهم خبراء في الآثار. ودخل المشهد أيضاً أشخاصٌ يدّعون معرفة الإشارات والرموز وتحليلها، وما يدلّ عليه كل رمزٍ منها. ولحق بهم المشعوذون الذين يدّعون التعامل مع الجنّ ومعرفة أماكن وجود (الطمامير)، وهو المصطلح الشعبيّ الذي يعني دفائن القطع الذهبية. وقد روي أن أحد أصحاب البيوت، الذي يبعد عشرين متراً عن النهر الجاف الذي يمرّ من المدينة، اعتمد على كلام هؤلاء الأشخاص، فبدأ بحفر دائرةٍ قطرها يقارب المتر في منزله. وتضاربت آراء الخبراء والمشعوذين، فهذا يأمر بالحفر يميناً وذاك يساراً، حتى انتهى بنفق يصل طوله إلى 72 متراً. وتمّ تمديد شبكة إنارةٍ على طول النفق، واستخدمت في حفره (كومبريسرات) كهربائية. وبعد كلّ هذا التخريب والتشويه لم يجد صاحب البيت سوى بعض الكِسَر الفخارية وبعض العظام التي تعود لهياكل قديمة. ولكن الضرر الذي نتج عن هذا العمل كان جسيماً، فقد هُشمت قنوات مياهٍ أثريةٌ على عمق مترين من الحفر، وأجزاء كبيرةٌ من خزّانٍ أثريٍّ على عمق أربعة أمتار.

وهناك طريقةٌ أخرى، تُستخدم على نطاقٍ ضيق، وهي الخرائط القديمة التي تدلّ على وجود (طمامير) في مكانٍ معين. وقد روى أحد أهالي المدينة أن شخصاً قدم من ريف الأتارب، يحمل معه خريطةً تدلّ على قطعٍ ذهبيةٍ موجودةٍ تحت قبر الشيخ عقيل داخلَ جامع الشيخ نفسه، والواقع في سوق المدينة. وقام هذا الشخص باستئجار منزلٍ يبعد عن الجامع 500 متر، وبدأ بالحفر الذي لم يكن هذه المرّة عشوائياً بل وفق الخريطة. ووصل الرجل إلى المكان الذي يقصده، ولكنه لم يجد القطع، فهناك من سبقه إليها. ويذكر أنه بعد دخول "الدولة الإسلامية" إلى المنطقة قام مقاتلوها بنسف القبر.

وأصبح بعض الأشخاص مسلحين بأجهزةٍ حديثةٍ تستخدم للكشف عن المعادن، وأجهزة تصويرٍ عن طريق الأشعة تكشف ما طُمِرَ لعمق 15 متراً. ومبدأ عملها قريبٌ من جهاز (الإيكو)، وأجهزة كشف الفراغ. ومؤخراً قام تنظيم "الدولة الإسلامية" باستخدام أحد هذه الأجهزة قرب سور المشفى الوطنيّ، وتمّ العثور على العديد من القطع والتماثيل الذهبية، التي لم يعرف شيءٌ عنها.

وهناك بعض الحالات التي سُجلت عن أصحاب بيوتٍ قاموا بالحفر وبعد عدة أمتارٍ اصطدموا بجدرانٍ حجرية، فتوقفوا عن المتابعة. ومن المرجّح أن تعود هذه الجدران إلى العصر الرومانيّ أو البيزنطيّ. وقد قال بعض

حفريات لبعثة التنقيب الفرنسية السورية في منبج

الأشخاص إن هناك العديد من اللقى الأثرية والتماثيل التي تم استخراجها من تحت بيوت بعض الأحياء القديمة من المدينة.

في ضوء ذلك يمكن القول بأن أعمال التنقيب العشوائيّ وتخريب واستخراج الآثار، المستمرّة منذ سنتين وحتى يومنا هذا، يتطلب إحصاؤها وتوثيقها عملاً جدياً وشاقاً جداً، وتجنيداً لجهود المهتمين بالآثار لوقف هذا النزيف الحضاريّ.

والجدير بالذكر أن الوسائل التي ذكرناها لا تقتصر على منبج فقط، وإنما تستخدم أيضاً في جميع المدن والمناطق والتلال الأثرية التي غابت عنها السلطة وانعدمت القوانين. ولذلك نناشد جميع الجهات والمنظمات التي تهتم بالتراث أن تهبّ لنجدة هذا الإرث المشترك للبشرية. وأن تصلوا متأخرين خيرٌ من أن لا تصلوا أبداً.

لوحة فسيفساء بيزنطية من قلعة نجم في منبج

# «فتنة» داعش

## (1 من 3)
## مداخل نفسية

عمر الباشا

تصدّر تنظيم «الدولة الإسلامية»، والمعروف اختصاراً بداعش، واجهة المشهد في سورية ومحيطها في الأشهر الثلاثة الأخيرة، عندما سيطر على مساحاتٍ واسعةٍ من الأراضي السورية والعراقية، وانتقل من مرحلة الكمون والقضم التدريجيّ للمناطق السورية المحرّرة، إلى مرحلة الهجوم المستذئب على شتى الجبهات، ففتح معركته مع نظام بشار الأسد، وصعّدها مع حكومة نوري المالكي في العراق، ولم يستبعد الأراضي اللبنانية.

ولسنا هنا بصدد الظروف العسكرية والسياسية التي أتاحت هذا التوسّع السرطانيّ، ولا بصدد استقراء مستقبل التنظيم بعدما عمل بشراسةٍ على استفزاز كميةٍ غير متصوّرةٍ من الأعداء، ولكننا نعنى هنا بقراءة واقعٍ مواكبٍ لهذه الأشهر الصاخبة، بات ملحوظاً بشدّةٍ في أوساط الثوّار والناشطين، وهو تحوّل هذا التنظيم إلى موضوع جدالاتٍ عنيفةٍ، ووقوع عددٍ كبيرٍ من ثوّار الأمس أسارى مسحورين بقوّته الحقيقية أو المدّعاة، وتسرّب أمارات الإعجاب المضمر حتى إلى ثنايا خطاب أعدائه. ولهذا نصف هذه الحالة من الخلاف الموّار حول التنظيم بـ«الفتنة»، التي يكثر فيها الهرج والمرج، وتُمتحن النفوس والعقول، ويهوي على نارها الكثيرون مجذوبين بقوىً من المشاعر ذات الطابع الاستحواذيّ.

ولهذه الظاهرة أسبابٌ متعدّدة، يجدر الاعتناء بها لتفكيكها وإخراجها من دائرة الشعور إلى نطاق التعقّل. وربما كانت أبرز هذه الأسباب هي:

1- عبادة القوّة: وهو أمرٌ من طبائع الشعوب على العموم، ما لم تسلك في التحضّر واحترام القيم مرتقىً رفيعاً. ومن البديهيّ أن حالنا ليست كذلك، بدءاً من انسحار قسمٍ كبيرٍ منّا بصدّام حسين، وتداول القصص الحقيقية أو المختلقة عن قوّته وقوّة جيشه «له»، وصولاً إلى تأييد معظمنا لحسن نصر الله، وتغنّينا بأساطير «أبطال المقاومة»، قبل أن نراهم يقتلوننا بدمٍ باردٍ في القصير ويبرود وعرسال... إلخ.

وصف

2- الوقوع في سحر الإخلاص والتفاني: ويعود هذا أيضاً إلى عقودٍ طويلةٍ من التكاسل والتواكل والتهرّب من أداء الأعمال، فضلاً عن إتقانها، عشناها في ظلّ البعث وعقلية القطّاع العام التي حكمت أداء الدولة فيه، وعقلية «الفهلوة» التي حكمت القطّاع الخاصّ، وبالارتكاز إلى قرونٍ طويلةٍ من الانحطاط وشيوع حالة المحافظة على أبخس شروط العيش ولو على حساب العقيدة أو القيم أو الكرامة. ومن هنا فمن الطبيعي أن يداخلنا الشعور بالصَغار أمام من نراه قد «ترك الدنيا» من المهاجرين، ولا سيما الغربيين والمتنعمين منهم، وجاء مستعداً للموت في سبيل ما يؤمن به من عقيدة. ولهذا الصَغار أثرٌ مربكٌ يمنع كثيراً من المحاكمات العقلية: أيّة دنيا تركها هذا المراهق التونسيّ، أو السجين السابق والمراقب من أجهزة الأمن السعوديّ؟ وما هي عقيدته حقيقةً؟ وما هو أثر وجوده وسلوكه علينا؟

3- التماهي بالمعتدي: وهي آليةٌ نفسيةٌ معروفة، خلاصتها أن هزيمة المرء أمام شخصٍ ما، أو الجماعة أمام جماعةٍ أخرى، تثير في نفس المهزوم إهانةً لا يمحوها إلا الانتصار عليه بدرجةٍ أشدّ. فإن بدا هذا الانتصار غير واضح المعالم على المدى المنظور، يقع المهزوم في أسر المعتدي على الصعيد النفسيّ، ويمتصّ سلوكاته ونمطه ويتمثّلها في شخصه هو، مستمداً منها القوّة والتوازن والتعالي من الشعور بالإهانة. وتحت هذا التصنيف يدخل كثيرٌ ممن هزمتهم داعش، سواءً في المعارك العسكرية أو على صعيد مشروعهم الثوريّ الذي بات منهكاً. فصار القفز من المركب الذي أتعبته رياح السنوات الثلاث الماضية، والانضواء تحت الراية السوداء التي تبدو الآن شابةً إلى درجةٍ ضاجّة، خياراً لبعض من لم تتحمّل نفوسهم الجَزر، ولم تطِق الصبر والإعداد لمدٍّ جديد. مثلما كان استخدام اللهجة العلوية والانتحال النفسيّ لشخصية رجل الأمن خيار كثيرٍ من السوريين تحت حكم الأسد.

4- البحث عن «الدولة»: لا يذكر معظم السوريين نموذجاً للحياة العامة سوى تلك الدولة المركزية التي حكمت البلاد منذ سيطر حزب البعث على السلطة، والتي ازدادت شموليتها في السنوات المفصلية من حكم حافظ الأسد، ولم يفككها حكم ابنه بقدر ما جمّلها ببعض الرتوش الملوّنة. ولذلك وقع أبناء المناطق المحرّرة، وقد طال بها الوقت دون سلطةٍ بديلة، في أشكالٍ متعدّدة من الفوضى العسكرية والإدارية والخدمية، نتيجة عدم الاعتياد على المبادرة والابتكار والعمل الجماعيّ... إلخ. ومن هنا كان من السهل على الكثيرين، بل كان مطلبهم، العودة إلى ظلّ «دولة»، وهو ما انتحله لنفسه هذا التنظيم. وكما كان النظام يفعل، ابتزّت داعش الناس بقدرتها على تحقيق «الاستقرار» وتوفير «الأمن»، ولو بالصلب وقطع الرؤوس، ودون تقديم ما كان النظام يؤمّنه من خدماتٍ بائسةٍ حتى.

وللحديث تتمّة...

# حرب القرون الوسطى

اليمار إسماعيل

**تحدّث الكثير من المحللين، منذ بداية الثورة وحتى الآن، عن موارد النظام البشرية. جميعنا متفقون أنّ النظام يعاني من نقصٍ في المقاتلين. ولم يكن تدخّل حزب الله وميليشيا أبو الفضل العبّاس، وحتى مقاتلين إيرانيين، إلا دليلاً قاطعاً على هذه الأزمة. لكن الذي تسلط عليه هذه المقالة الضوء هو أن الخزّان البشريّ للنظام لم ينضب حتى يستجير بمقاتلين من خارج البلاد!**

طائرة تحمل جثث القتلى من جنود الأسد من أبناء الساحل

فما زال هناك أكثر من ثلث الشبّان – على أقلّ تقدير – من بيئته الطائفية الموالية لم يذهبوا للقتال في صفوفه، كما أنّ العديد منهم تخلّف عن السَوق للاحتياط أو للتجنيد الإجباريّ. وربما إيراد القليل من الأرقام قد يفاجئ البعض؛ فمثلاً، منذ صيف عام 2012 هناك أكثر من عشرين ألف متخلفٍ عن السَوق للاحتياط من محافظة اللاذقية، ومن المناطق الأخرى التي تعدّ موالية للنظام. وهذا لأنّ النظام يتردّد في السوق الإجباريّ لهؤلاء، موازناً بين الإبقاء على هيبته وخوفه من خلق بيئةٍ معاديةٍ له في عقر داره. ومن هنا فقد ترنّحت سياسته في هذه المسألة بين عمليات السَوق الإجبارية والتغاضي الكامل!

ومن المفيد هنا ذكر أنّ الشبّان الذين اندفعوا في بداية الثورة إلى ميليشيا الدفاع الوطنيّ لم يتمّ طلبهم للاحتياط. وحالما يترك أحدهم القتال في صفوف هذه الميليشيا يُطلب للاحتياط، في تواطؤٍ واضح بين قوّات الدفاع الوطنيّ وشعب التجنيد، التي يشرف على هذا الأمر فيها عناصر من المخابرات الجوية. ورغم ذلك نجد الآن من ترك القتال مع هذه الميليشيا ولم يستجب للسَوق، كما نلاحظ أنّ هناك القليل ممن هربوا من جيش الأسد بعد استجابتهم لدعوة السَوق، لكن النظام تعامل مع مختلف هذه الظواهر بغاية المرونة، للأسباب التي ذكرناها آنفاً.

ومن جهةٍ أخرى، كيف لنا أن نتحدّث عن دور "إنقاذيٍّ" لحزب الله في الحرب السورية وتعدادُ عناصره المشاركة فيها لا يتجاوز العشرين ألف مقاتل (كتقديرٍ أقصى)، فيما نجد أنّ عدد عناصر فروع أجهزة الأمن لوحدهم يتجاوز المئة ألف عنصر، وأنّ عدد السوريين المشاركين في الحرب يتجاوز الأربعمئة ألف؟ وكيف نتحدّث عن أهمية ما يقلّ عن عشرين ألفاً من باقي المليشيات التي تقاتل مع النظام من غير السوريين؟ لكن، إذا تحدثنا عن تجويع الموالين ومحاربتهم في لقمة العيش، والتلويح بأنّ منقذهم الوحيد هو القتال، بشتى أنواع الترغيب والترهيب، ولاحظنا غياب نسبةٍ لا تقلّ عن الثلث، وهي نسبةٌ غير قليلة، مع العلم أن أكثر من الثلث كانوا أصلاً في صفوف الجيش قبل اندلاع الثورة، أي أنّ كل وسائل النظام لم تستطع استجرار نصف الخزان البشريّ الموجود لديه بعد الثورة، وأنّ كل خزّانه البشريّ له طبيعةٌ خاصّةٌ لا تخدم النظام ولا أمراء الحرب في سوريا؛ فهذا ما يجيبنا عن كل تساؤلاتنا، وهو أنّ معظم مقاتلي النظام السوريين ليس لديهم ما يدافعون عنه، وغوايتهم بالسلب والنهب قد انتهى مفعولها الآن، وبدأوا يتلمّسون الأسباب الحقيقية وراء القتال، ومعظمهم يعرف علم اليقين أنّ النظام يكذب وأنّ الثورة لم تكن يوماً لإبادتهم، كأقلياتٍ أو كعناصر موجودةٍ ضمن أجهزة النظام.

وذلك بعكس مقاتلي حزب الله وميليشيا أبو الفضل العبّاس والمقاتلين الإيرانيين المعبئين أيديولوجياً، والذين يسعون لمحاربة "السنّة" أينما كانوا على الأرض وتحت أيّ ظرف، والذين يُقتلون وهم مطمئنون إلى مصيرهم بعد مماتهم، كما يؤمنون. وهكذا نجد أنّ المولّد الحقيقيّ للحرب السورية هي الأيديولوجيا الدينية المتطرّفة، والتي تتعرّى يوماً إثر يوم، وهي السلاح الجديد بيد أعداء السوريين.

إذاً، لن نستغرب عندما نعرف أنّ النظام قام بتسريح ثلاثة آلاف مقاتل من ميليشيا الدفاع الوطنيّ مؤخراً. ذلك أنهم أصبحوا عبئاً عليه، وكذلك أيّ فصيل مقاتل لا يحمل أيديولوجيا أو عقيدةً للدفاع عنها. ليتحوّل هذا النظام من الأوليغارشيّة إلى نظام دينيٍّ أصوليّ، مرتبطٍ بشكلٍ وثيقٍ ومباشرٍ مع جميع قوى العالم الأصولية.

# مذكرات عنصرٍ في المخابرات العسكرية!

محمد عثمان

**فتحت الثورة السورية الباب لظهور كتبٍ تسلّط الضوء على تاريخ وبنية نظام الأسدين، من مؤلفاتٍ كانت حبيسة الأدراج، ومترجماتٍ كانت لا تجد من يجرؤ على نقلها إلى العربية أو من ينشرها، ومذكراتٍ وجد أصحابها أن الوقت قد حان ليفصحوا عنها. وفي حين جاءت معظم هذه الشهادات ممن كانوا ضحايا لقمع النظام، فإن كتاب «أيامٌ منسيّةٌ مع العصابة الأسدية»، الذي ظهر بشكلٍ إلكترونيٍّ فقط، أواخر 2011، هو شهادة أحد من قادتهم الأقدار إلى أن يكونوا جزءاً من آلة القمع هذه.**

فقد اضطرّت الظروف صاحب هذه القصّة إلى الالتحاق بالخدمة الإلزامية في الجيش الأسديّ، بعد تعثّرٍ مفاجئٍ لسعيه إلى السفر إلى خارج البلاد للدراسة الجامعية. ونتيجة مشاعر الخوف والقلق والإحباط التي ظهرت على هذا الشاب الحمصيّ المتنعّم، أراد أحد أقربائه، وهو من كبار تجّار المدينة، أن يساعده عبر علاقاته مع المسؤولين، بأن تكون خدمته الإلزامية في مدينته نفسها، وهو ما كان مطلب أيٍّ من الملتحقين بجيش الأسد. ولكن هذه الواسطة بالذات هي ما فتح باب الحكاية، إذ تمّ فرز الشابّ، دون إرادةٍ ولا توقع منه، لصالح جهاز المخابرات العسكرية. كان ذلك في أوائل الثمانينيّات، في الأيام الأخيرة لقمع النظام لتمرّد الإسلاميين ضده. وكان الانتساب إلى أجهزة الأمن مثار كثيرٍ من الشكوك والاحتقار الداخليّ لدى عموم السوريين.

«إنته مين واسطتك؟ من أيّ ضيعة إنت؟» كان هذان السؤالان دائمين، منذ نُقل هذا المجنّد من دورة الأغرار إلى مدرسة المخابرات العسكرية قرب دمشق، وحتى فرزه لفرع هذا الجهاز في حمص. وكانت واسطته، كما اكتشف إثر سؤال قريبه، هي العقيد غازي كنعان، مدير فرع المخابرات العسكرية بحمص، مما كان يدفع إلى التقدير في هذه الأوساط. أما كون المتوسَّط له سنيّاً من حمص، فكان يثير تساؤلاتٍ مكتومة، رغم أن من هم في مثل وضعه لا يسلَّمون مواقع تعدّ حساسةً، كالتحقيق ومخزن السلاح ومحطة اللاسلكي والأرشيف.

يروي الكاتب العديد من القصص عن جرائم الجهاز بحقّ الناس، من ابتزازٍ وإهانةٍ وتعذيبٍ وحشيٍّ يصل إلى حدّ الموت أحياناً، مما هو معروفٌ عن المخابرات الأسدية. ولكن اللافت في روايته هو تسليط الضوء على حوادث تفصيليةٍ لطبيعة الصراع بين أجهزة الأمن المختلفة، والتنافس الضاري بينها على نيل رضا حافظ الأسد، وإبراز من هو الأجدر بالحفاظ على سلطته من المتآمرين. فقد وصل هذا التنافس إلى درجة أن جهاز الأمن العسكريّ بحمص قد بثّ مخبرين له في أجهزة الأمن الأخرى! ولأنه كان يصرّ على تصدّر مشهد القمع، فقد اصطدمت دورياته أكثر من مرّةٍ مع دورياتٍ تابعةٍ لجهاز المخابرات الجوية، أثناء تعقب الجهتين بعض المطلوبين. ولم يتردّد عناصر الأمن العسكريّ في استخدام السلاح لخطف المطلوب من بين أيدي زملائهم المفترضين. وتحت قيادة علي دوبا الوحشية الشهيرة، أحسّ عناصر هذا الجهاز أن لهم اليد الطولى في البلاد، فقاموا - بحسب مشاهدات المؤلف في حمص - بمهاجمة فرع أمن الدولة إثر اشتباكٍ بين دوريتين للطرفين، وإحضار عناصر من هذا الفرع، بينهم ضابطٌ برتبة ملازم، إلى فرع المخابرات العسكرية، وضربهم وإذلالهم. وكان عناصر الأمن العسكريّ ينظرون باحتقارٍ شديدٍ إلى عناصر الأمن السياسيّ، ولا يتردّدون في ضربهم دون سببٍ وهم داخل سياراتهم

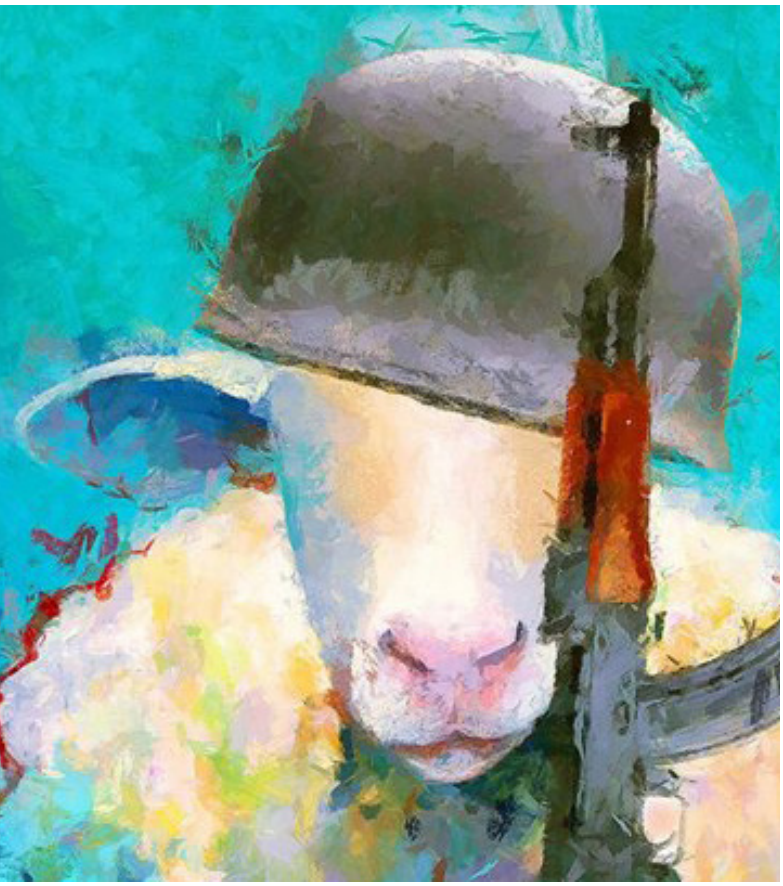

للفنان وسام الجزايري

في شوارع حمص، ولذلك كان عناصر الجهاز الأخير يتجنبون المرور أمام دوريات المخابرات العسكرية.

وليس هذا فحسب، بل تتنافس فروع هذا الجهاز نفسه مع بعضها، ليثبت رئيس كلّ فرعٍ أمام قيادته أحقيته وتقصير الآخر. فقد قام عناصر المخابرات العسكرية بحمص بمهامّ عديدةٍ لاعتقال مطلوبين في محافظاتٍ أخرى، بدون علم فروع المخابرات العسكرية في تلك المدن إطلاقاً، وبسياراتٍ تحمل لوحاتٍ مدنيةٍ مزوّرة، كما حصل في حادثةٍ شارك فيها الشاهد في حلب.

أما عناصر «سرايا الدفاع» التابعة لرفعت الأسد فكانوا هم من يبادر إلى التحرّش بعناصر المخابرات العسكرية واستفزازهم. حتى وقع الخلاف بين قائدهم وشقيقه الرئيس، وكُلّف علي دوبا وجهازه بمهمة تفكيك قوّات السرايا، فصار من المألوف رؤية ضباطها الشرسين، وقد نُزعت الرتب عن لباسهم المبرقع باللون الأحمر، محتجزين لدى المخابرات العسكرية، مقيّدين ومرميين على الأرض، ويُضربون بوحشية، حالهم كحال معتقلي الإخوان المسلمين!

# الحرب العربية الباردة

ترجمة منصور العمري عن فورن بوليسي، بتصرّف

*تحت عنوان "حين ابتعدت الولايات المتحدة عن الشرق الأوسط، حاول حلفاؤها ملء الفراغ ولكن مع نتائج كارثية"، تحدثت (فورن بوليسي) الأمريكية عن اندلاع حربٍ بالوكالة، تمتدّ من العراق عبر سوريا إلى لبنان وتصل إلى ليبيا، كنتيجةٍ لمعركةٍ مريرةٍ بين القوى الإقليمية حول من سيقود المنطقة.*

## معارك جانبية

المفهوم الغالب في الشرق الأوسط هو أن المنطقة قائمةٌ على التقسيم الطائفي وتأليب السنّة ضد الشيعة، ولكن كثيراً من الصراعات الحالية تجري بين القوى ذات الأغلبية السنية. فالضربات الجوية المصرية والإماراتية الأخيرة على الميليشيات الإسلامية الليبية هي مظهرٌ واحدٌ فقط من هذه المعركة على القيادة بين المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة من جهة، وقطر المتحالفة مع تركيا من جهةٍ أخرى. وقد خاضت كلّ هذه الدول صراعاتٍ في العراق وسوريا ومصر والبحرين، والآن في ليبيا، من أجل اعتبارات القيادة الإقليمية. أذكى هذا التنافس على السلطة الإقليمية العنف والصراع السياسيّ والاستقطاب وعمّق المشاكل المتوطنة في البلدان التي سعى إلى التأثير فيها.

ولم تحقق محاولة باراك أوباما فصل الولايات المتحدة عن الصراعات في الشرق الأوسط إلا المزيد من التنافس. ومن وجهة نظر معينة، فإن الفوضى في العراق والحرب (الأهلية) في سوريا والتفكك المتسارع في ليبيا، تمثل إخفاقات القيادة الأميركية في المنطقة. فاعتقد حلفاء واشنطن الإقليميون، نتيجةً لذلك، أنهم يستطيعون تشكيل الشرق الأوسط الجديد بأنفسهم.

## الدور التركيّ

كان من المنطقي تماماً أن يعارض الأتراك انقلاب الرئيس عبد الفتاح السيسي في يوليو/حزيران 2013 في مصر. فالدولة التركية لديها معاناةٌ قديمةٌ وطويلةٌ من التدخلات العسكرية في الحكم، كما أنّ رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان يعلق أهميةً قصوى على التضامن الإسلاميّ في إدارة السياسة الخارجية لتركيا. وبعد الحرب الكلامية بين أنقرة والقاهرة سعت الحكومة التركية إلى دعم جماعة الإخوان المسلمين، بما في ذلك بثّ تلفزيون رابعة من إسطنبول، وهي محطةٌ تلفزيونيةٌ تابعةٌ للإخوان وتسعى إلى نزع الشرعية عن العملية السياسية بعد الانقلاب في مصر.

## قطر-السعودية

تريد القيادة القطرية أن تقاوم الضغط السعوديّ على الدوحة للتماشي مع الرياض في القضايا الإقليمية، مثل إيران ومصر وغزّة وسوريا. وتسعى المملكة العربية السعودية الآن لإغراء قطر بقبول تفوّقها، فأرسلت مؤخراً وفداً رفيع المستوى إلى الدوحة، بعد التوتر السابق الذي تمثل في سحب سفراء مجلس التعاون الخليجيّ من الدوحة، وهي الخطوة التي أثبتت فشلها. كانت قطر أقل حذراً من غيرها في دعم الجماعات المقاتلة في سوريا والعراق، رغم أن جميع الأطراف قدّمت التمويل الرسميّ لجماعاتٍ إسلاميةٍ في سوريا، وسمحت بوصول مساهماتٍ فرديةٍ خاصّةٍ إلى جماعاتٍ بما فيها جبهة النصرة. وقد ساعد ذلك في خلق بيئةٍ تضمّ وتدعم الجماعات العنيفة والسلمية التي تسعى لقلب النظام.

حتى الآن، فشلت جميع الأطراف في كسب المعركة، مع اصطدام الإسلام السياسيّ بالقوى السعودية والإماراتية. بينما تعيث القوة الإيرانية دون رادع. ومع سلبية الإدارة الأمريكية وجمودها قرّرت الرياض وأبو ظبي مواجهة هذه التحديات بسياسةٍ متماسكة.

## دعمٌ قاتل

لم تسفر الكمية الهائلة من المال التي نثرها السعوديون والإماراتيون في جميع أنحاء المنطقة، حتى الآن، إلا عن مزيدٍ من العنف. ففي مصر، شكّل المال والدعم السياسيّ من قبل الرياض وأبو ظبي لجنرالات القاهرة غطاءً للانخراط في حملةٍ واسعة النطاق ضد المعارضة السياسية، فقُتل 2500 شخص، وأُصيب 17000، وسُجن 16000 بين انقلاب يوليو/حزيران 2013 ومارس/آذار الماضي. أمّا في سوريا فقد أثارت الخلافات بين دول الخليج السنّية حول الجماعات التي يجب دعمها مشاكل عديدة من بينها عدم وجود قيادةٍ متماسكة للمعارضة، ما يقوّض محاولات إسقاط الأسد.

ليست لهذه الصراعات علاقةٌ بإيران وبالانقسام بين السنّة والشيعة. ولكن تواصل الحروب بالوكالة بين السعوديين والإماراتيين من جهةٍ والقطريين والأتراك من جهةٍ أخرى يسبّب الفوضى، وهو ما يعود بنتائج سلبيةٍ على المنطقة. ومن الواضح أن البيت الأبيض يتعلم الدرس وهو على بعد خطواتٍ من ضرب داعش في سوريا. ويبدو أن الحسابات الخاطئة والأسلوب العقيم لحلفاء واشنطن في محاولة حل المشاكل الإقليمية، نجحت في القيام بما كانت إدارة أوباما لا تريده، وهو تدخّل الولايات المتحدة مرّةً أخرى في الشرق الأوسط.

# مضر خضّور... "وينه"؟

"حلال دبحه حلال والله".

"لازم يموت ألف موتة قبل ما يخوزقوه".

"الله حيّي الجوية.. هلق وبعدين ولما تحرق هالكافر وتعلق راسه عبرة لمن اعتبر".

"الله يحرق عظامه لبيّك يا خاين يا ابن الخاينة".

هذه اللعنات، وغيرها أقبح وأشد بذاءةً، أطلقها كثيرٌ من مؤيدي الأسد على خريج الحقوق الشابّ مضر خضّور، أدمن صفحة (نسور مطار الطبقة)، ومطلق حملة "وينن" للكشف عن مصير الجنود القتلى في ذلك المطار، بعد أن اعتقلته المخابرات الجوية في دمشق منذ أيام. ليُتّهم، بحسب معلقين فيسبوكيين مؤيدين للنظام، بالخيانة وبثّ السموم وتحريض المواطنين على "القيادة"، وبأنه كان جاسوساً للمعارضة "يستجرّ المعلومات من أهالي الجنود وينشر الرعب والهلع في نفوسهم"، ويتهم قيادة الجيش بالخيانة والتخلي عن جنود مطار الطبقة وتركهم يواجهون الموت وحدهم.

لم يكن مضر أقل ولاءً أو إيماناً بحقّ بشار وعائلته في حكم سوريا إلى الأبد من مخوّنيه اليوم، لكنه لم يستطع أن يكون أحمق هذه المرة ويصدّق "إعادة تجميع القوّات"، و"الانسحاب الآمن"، و"الكمائن التي تجمع آلاف المسلحين في مساحة ضيقة قبل حرقهم بصواريخ السكود"، وغير ذلك من الأكاذيب الساذجة لإعلام الأسد. فخريج الحقوق، الذي فقد شقيقه الجنديّ في جيش بشار، أراد أن يكون هذا الجيش أكثر كفاءةً في سحق المعارضين، وأكثر اهتماماً بالقتلى والمفقودين من جنوده. ولا يتحقق هذا حين يهرب الضباط الكبار والمدعومون فجأةً بالمروحيات، و"يُترك العساكر الصغار يساقون كالنعاج في الصحراء قبل قطع رؤوسهم".

على صفحته الشخصية، كان خضّور مؤيداً بأسلوبه الخاصّ لنظام الأسد، لا يكفّ عن السخرية من المسؤولين المدنيين لهذا النظام، من وزراء ومدراء وأعضاء قيادة بعثيين، ويحمّل فسادهم جزءاً من المسؤولية عن "الأزمة" في سوريا والجزء الآخر على المؤامرة. ولا يكفّ كذلك عن غرامه بجنود الجيش "الفقراء" الذين "يدافعون عن البلد"، ويشيد بالبراميل التي تسحق عظام أطفال حلب وريف دمشق ودير الزور ودرعا، ويطرب لراجمات الصواريخ حين تدكّ أحياء داريا ودوما. فجيش بشار، بالنسبة لدارس الحقوق الشاب، "مقدّس"، وليس للمعترضين على جرائمه إلا الموت.

في المخابرات الجوية قد يكون التعذيب مخففاً، لا يتعدّى فرك أذن مضر التي لم تسمع الكلام. وقد يكون صعقاً بالكهرباء وتعليقاً لساعات طويلة من ذراعيه، مع جرّه بين حين وآخر إلى غرفة التحقيق مغشياً عليه. سيستغرب المحقق أن يكون مضر "مثقفاً فهمانا"، ويستنكر أن يكون "علوياً وابن عمّ" يخون الأهل والجميل، جميل حافظ الأسد وبشار. ولن يعترف مضر بأيّة تهمة، فهو مخلصٌ وحريصٌ ولا يقبل أن يتهم بقلة الولاء. وفي هذه الأثناء سينشغل بعض أقاربه النافذين بتسوية المسألة، فالأمر لا يعدو رعونة شابٍّ حزين على مقتل أخيه "كتب سطرين على الفيسبوك".

في فرع المزّة يمكن لمضر أن يولد من جديد، ويعود إنساناً إن هو أحسّ بعذابات غيره ممن يموتون في زنزاناتٍ مجاورة.

# الخامنئي يطارد "الدشّات"

في طهران، بدأت قوات الأمن الداخليّ، بحسب مواقع المعارضة الإيرانية، حملتها الجديدة - في صولةٍ عقائديةٍ - على صحون التقاط القنوات الفضائية. وخصّصت وحداتٍ خاصةً تقوم برصد الصحون البيضاء على أسطح المنازل، قبل انتزاعها بالقوة حفاظاً على إيمان المواطنين بولاية مرشدهم. ويبرّر الملا محسني غرغاني هذه الحملة، في حديثه لوكالة فارس للأنباء: "استهدف العدوّ بهذه الطريقة الأسس العقائدية والأخلاقية للشباب، حيث تبثّ 120 قناةً فضائيةً برنامجها الموجّهة لإيران من أصل 4 آلاف قناةٍ فضائية. ونحن قلقون من هذه القنوات التي تعرّج على الشؤون السياسية، كما أنها تطرح مسائل ضد رجال الدين". ويضيف غرغاني، مطالباً بعدم التهاون في هذه القضية: "عليهم أن يتخذوا تدابير خاصةً للوقاية من هذا السيل العارم، لأن غداً سيكون الوقت متأخراً".

وتأتي معركة "الدشّات" هذه في سياق حربٍ شاملةٍ تشنّها السلطات الإيرانية، التي تشدّد الرقابة على خدمات الإنترنت، بعد أن أجهزت على الصحف غير الناطقة بلسان الوليّ الفقيه، والناقدة لسلوك حرسه الثوري داخل إيران وخارجها.

على مرّ العصور، يظنّ الطغاة أن شعوبهم كائناتٌ قاصرةٌ وضعيفة، يمكن التغلب على إرادتها واجتثاث نزوعها إلى التحرّر بمزيدٍ من القهر والقمع وبمزيدٍ من الطغيان. وعلى مر العصور أيضاً كان ظن الطغاة في غير محله.

# كرامة وئام وهاب

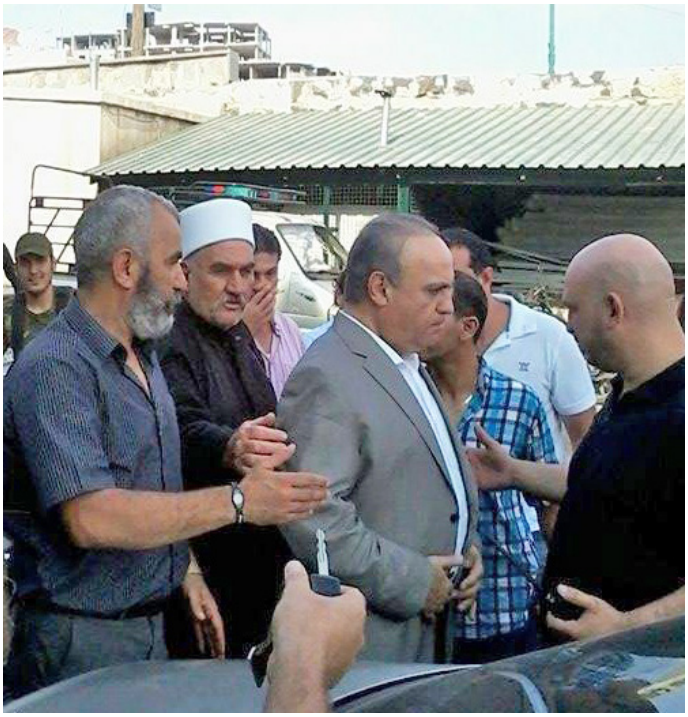

فجأةً، أعلن وئام وهاب، رئيس ما يسمّى بحزب التحرير العربيّ، إغلاق مكاتب حزبه وتوقفه عن أيّ نشاط في سوريا، قائلاً: "لا أقبل عليّ ممارساتٍ تتعلق بكرامتنا وكرامة حزبي. ومن يمارسها يجب أن يتوقف عند حدّه. وكرامتي أهم من سياستي".

ويبدو من تصريح وهاب أن أحداً من مسؤولي نظام الأسد قد أزعجه بشيءٍ ما، وهو المدافع المتطرّف عن هذه النظام. وبحسب تسريباتٍ نشرتها وسائل إعلام مختلفة، أوقف حاجزٌ أمنيٌّ سيارةً تابعةً لحزب وهاب وقام بتفتيشها، واحتجز سائقها لساعاتٍ قبل أن يطلق سراحه، مما خدش كبرياء "زعيم الحزب" أمام مناصريه، وهو الرجل المغرور والباحث عن زعامةٍ ودورٍ بين أبناء طائفته، دون أن ينجح في ذلك، رغم الأموال الإيرانية الطائلة التي تنفق عليه ليكون قيمةً اجتماعية مؤثرة. فهناك بين أبناء السويداء من يرفض تدخل هذا الرجل اللبنانيّ المشبوه في شؤونهم. ولم تتكلل جهوده بتأسيس ميليشيا درزيةٍ مسلحةٍ تابعةٍ له بالنجاح، حتى الآن.

وبعد جردةٍ قصيرةٍ، عاد وهاب فجأةً إلى سوريا، ليظهر برفقة مجرم الحرب عصام زهر الدين، ويقوما سويةً ببعض الزيارات ألقى خلالها وهاب كلماتٍ حماسيةً عن صمود النظام في وجه المؤامرات، متناسياً ما قاله قبل أيامٍ عن كرامته الجريحة.

# ماجدة الرومي... والحرية

تبدو كلمة الحرية غريبةً حين تستخدمها المغنية اللبنانية ماجدة الرومي عنواناً لألبومها الجديد، وهي المنكِرة لانتهاكاتٍ تفوق الخيال حدثت في سوريا على يد عصابات الأسد. فالمغنية، وكما صرّحت سابقاً، لا تصدّق "أن يؤذي بشار سوريّ"، وهو الزعيم العربيّ الأول الذي "وضع حذاءه في فم إسرائيل والغرب وضبط الميليشيات الفلسطينية". وفي قدرة بشار على استخدام حذائه في هزيمة الأعداء يكمن وعي ماجدة الرومي السياسيّ وترتسم منطلقاتها النظرية بأن من "يحارب إسرائيل" أو يدّعي ذلك - في حالة الأسد - لا يمكن أن يظلم شعبه. وأما مئتا ألف شهيدٍ ونصف مليون معتقلٍ وعشرة ملايين نازحٍ في الداخل والخارج فهم مجرّد إشاعةٍ في مفهوم المغنية التي تهدي أجرها في بعض الحفلات لضحايا الحروب والكوارث.

في العادة، لا يؤاخذ المغنّون على ما يطلقون من تصريحاتٍ حول أيّ شيء، ولا يؤاخذون قطعاً إن هم تحدثوا في السياسة. لكن ماجدة، التي عرفها السوريون كمطربةٍ رومانسية، تؤاخذ على ذلك. لا لأنها أذكى من غيرها من المغنّين وأكثر مسؤولية، بل لأنها اختارت النمط المثقف - إن صحّ التعبير - من الغناء. وهو النمط الذي يكلف صاحبه - ولو مظهراً - صرامةً أكبر في التعاطي مع الحكّام، وخاصةً إن كان الحاكم وحشاً مريضاً مثل بشار الأسد.

تقترب الرومي من الستين من العمر. نتمنى لها أن تعيش مزيداً من السنوات لتُسأل، بعد أن يكون بشار مجرّد ذكرى قبيحة، عن سرّ تجاهلها لضحاياه.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

مشروع نهر الخريطة الصغير بدير الزور